



— روايات مصرية للجيب —

نداء قلبي



Looloo

www.dvd4arab.com

شريف شوقي



انزوت (صفاء) في أحد أركان حجرة السكرتارية،
الخاصة بمكتب (رشدى سليمان) . رئيس مؤسسة
(النيل) للاستيراد والتصدير . بعد أن أخبرها مدير
مكتبه بأنه مشغول للغاية . ولا يمكنه مقابلتها . ولكنها
أصرّت إصراراً شديداً على مقابلة . فلم يكن من مدير
مكتبه إلا أن هزّ كتفيه ، وهو يقول :
— سأبلغه ذلك على أية حال .

وحمل بعض الأوراق ، واتجه إلى مكتب رئيسه ،
على حين تطلّعت (صفاء) إلى الحجرة الواسعة في مزيج
من الرّهبة والحجل . وقد بدت لها الحجرة رائعة
التأثير ، عظيمة الفخامة ، التي فيها الأثاث الفاخر
مع أجهزة الكمبيوتر ، ووسائل الاتصال الحديثة ، التي
تملأ كل ركن ، فتساءلت في أعماقها في رهبة :
— إذا كانت هذه حجرة السكرتارية ، فكيف
تكون حجرة رئيس المؤسسة ؟

***** ٤ *****

نقلت بصرها إلى مجموعة السكرتيرات . اللاتي
يقعن خلف مكاتبهن الفاخرة ، واللاتي يتميزن بأناقة
وجمال غير عاديين . حتى ليليدون أشبه بعارضات أزياء
يتبعن واحداً من أرقى بيوت الأناقة في العالم . ولسن
سكرتيرات في مؤسسة تجارية . وخيّل إليها ، حينما
ارتطم بصرها بعيونهن . أنهن يرمقنها بنظرات متعالية
مغرورة . تنقل إليها ما لم تفصح عنه السنتين . من أن
وجهها الشاحب . وثوبها الأسود الرخيص . لا ينسجمان
قط مع المكان . الذي يجمع كل ركن فيه بين الثراء
والأناقة والجمال . فانكشّت في مقعدها . وتضاعف
في أعماقها ذلك الشعور بالرهبة والحجل ، إلا أن
إصرارها على مقابلة (رشدى سليمان) لم يترجع قط ..
وفجأة هيّبت واقفة . وسرّت في جسدتها رعدة
قوية ، حينما انبعث من حجرة رئيس المؤسسة صوت
حاد النبرات . ملأ ملامحها بالخوف والاضطراب .
على الرغم من باب الحجرة المغلق . ولقد امتدّ ذلك
الانطباع . ليملاّ وجوه السكرتيرات أيضاً . فاخفت

***** ٥ *****

من عيونهن نظرات التعالي والخطرة ، وحلت محلها
نظرات قلقة متوترة ، وهن يتطلعن إلى باب حجرة
الرئيس ، التي انطلق منها صوت أشبه بزئير أسد يهيم
بالانقضاء ، مئزت منه (صفاء) كلمات تقول في
انفعال :

— إنكما لست إثنين من الحمقى ، لا تصلحان
إلا لإدارة روضة أطفال ، وليس مؤسسة محترمة .
ويبدو أن السكون الذي ساد لحظات ، بعد تلك
العبارة ، كان يحمل محاولة شخص آخر ، داخل
الحجرة ، لتبرير موقفه ، إلا أن الصوت الحاد لم يلبث
أن تعالي مرة أخرى ، وهو يهتف على نحو أشد حدة
وخشونة :

— كفى .. لن أضيع مزيداً من الوقت مع
شخصين مثلكما .. يكفي ما تسببتا فيه من خسائر .. ضعاً
في اعتباركما أنني لن أتنازل عن قرش واحد ، من
التعويض الذي سأطالبكما به .

وفجأة اندفع مدير مكتب الرئيس خارج الحجرة

***** ٦ *****

وجلس خلف مكتبه ممتقع الوجه ، يتصبب عرقاً ،
وخلفه اندفع رجلان ، علا الاصفرار وجهيهما ، وبدا
عليهما الارتباك واضحاً ، وغادرا حجرة السكرتارية ،
وأحدهما يغمغم في حلق :
— هذا الرجل لا يطاق .

وأضيف إلى مشاعر (صفاء) المضطربة شعور
جديد بالحيرة ، بعد أن وجدت نفسها عاجزة عن
سؤال مدير المكتب ، الذي يبدو ممتقناً ، عما إذا كان
قد أخبر رئيسه برغبتها في لقائه أم لا ، إذ بدا لها
السؤال ، وسط ذلك المناخ المكفهر ، غير لائق على
الإطلاق ، وراودتها رغبة في الفرار من المكان ، وعدم
مواجهة ذلك الرجل الخفيف ، ولكن رغبتها لم تختمر
أبداً في أعماقها ، فقد اندفع من الحجرة فجأة رجل
قوى البنيان ، واضح العنف ، يرتدى قميصاً أزرق
اللون ، حلّ أزرار ياقته ، ليتحرّر من إحكام رباط
عنقه ، وشمر عن ساعديه .. وكان يبدو في الثلاثينات
من عمره ، لا يخلو وجهه من وسامة محبّبة ، أفسدها

***** ٧ *****

شعره الأشعث ، وأخفها نظراته النارية . التي تصعب
مواجهتها ، والتي انتفض لها كل من في الحجرة .
وهبوا وقوفاً ، وعلى رأسهم مدير المكتب الذي بدا من
ارتعاداته أنه لم يتأقلم بعد على أسلوب رئيسه . ونظراته
المخيفة . على الرغم من السنوات التي عملها معاً ..

حتى (صفاء) هبت واقفة في رهبة . وارتجفت
مرة أخرى . حينما سمعت (رشدي سليمان) يقول لمدير
مكتبه ، في صوت حاد . يتناسب مع مظهره تماماً :

— لا أريد أن أرى هذين الوغدين في مكنتي مرة
أخرى . وهذا الأمر للجميع . مفهوم ؟

أجابه الجميع في صوت خافت مرتجف :

— مفهوم يا سيدي .

استطرد بمزيد من الحدة :

— أبلغ إدارة العقود أن كل التعاقدات بيننا وبين
شركتهما تعتبر لاغية ، ثم اتصل بالمحامي . واطلب منه
اتخاذ الإجراءات اللازمة معهما . بشأن التعويض .

غمغم مدير المكتب في صوت شديد الخفوت :

***** ٨ *****

— كما تأمر يا (رشدي) بك .

واستدار (رشدي) ليعود إلى مكتبه . فاستجمعت
(صفاء) شجاعته ، وهتفت به :

— أستاذ (رشدي) .. أيمكنني أن أتحدث إليك
قليلاً ؟

حدّجها الجميع بنظرة دهشة ، وكأنما يستنكرون
جرأتها . على حين التفت إليها (رشدي) بنظراته
النارية ، التي جعلتها تنكمش في مكانها مرة أخرى .
وعقدت لسانها في حلقها ، فلم تفه بكلمة إضافية .
وسأل هو مدير مكتبه في حدة :

— مَنْ هذه ؟

تنحّج الرجل في ارتباك . وهو يغمغم :

— لقد جاءت منذ عدة دقائق . وترغب في مقابلة

سيادتك و ...

قاطعته (رشدي) بلهجة آمرة دون أن يلتفت إليها :

— لست مستعداً لاستقبال أي كائن مَنْ كان ،

طوال الساعات القادمة .. مفهوم

***** ٩ *****

٢ - الصوت الأمر ..

لم تكن الصورة ، التي تكوَّنت في ذهن (صفاء) ،
عن حجرة مكتب (رشدى) ، تختلف كثيراً عن
الواقع ، فلقد كانت الحجرة حقاً مُبْهِرَةً ، بكل
ما تحويه من أثاث وديكورات ، على نحو قل أن
يشاهده المرء ، سوى في الأفلام السينمائية ، التي تبالغ
في وصف حياة أصحاب الملايين ، ولقد دعاها (رشدى)
للجلوس على المقعد المقابل لمكتبه ، ثم جلس خلف مكتبه
يتطلع إليها في صمت ، وكانت نظراته هذه المرة هادئة ،
متمعِّنة ، لا تخلو من الصرامة والقوة ، على نحو يؤكد
شخصيته الطاغية ، مما أصاب (صفاء) بارتباك شديد ،
جعلها تطرق برأسها في توتر ، قبل أن يقطع هو الصمت
الثقيل قائلاً :

— عجباً !! .. أنت (صفاء) ، ابنة الحاج
(جاد) ؟

بدا لها سؤاله عجبياً ، فلاذت بالصمت ، حتى
عاد يستطرد في لهجة أكثر تودُّداً :

***** ١١ *****

— مفهوم يا سيِّدى .

وعاد بهم بدخول حجرته . فتفجَّرت ثورة من
الإصرار والعناد في نفس (صفاء) . وصاحت في
صوت قوى النبرات :

— أستاذ (رشدى) .. أنا (صفاء) .

تجاهل عبارتها تماماً . وهو يدفع باب مكتبه ،
فاستطردت في حِدَّة :

— (صفاء) ابنة الحاج (جاد المولى) .. أما زلت
تذكره ؟

صاح بها مدير المكتب . خشية غضب رئيسه :

— كفى يا آنسة .. هلا تفضَّلت بمغادرة المكان ؟

ولكن (رشدى) توقف . واستدار يتطلع إليها
طويلاً . ثم التفت إلى مدير مكتبه ، قائلاً في حزم :

— دعها تدخل .

وواصل طريقه إلى مكتبه في حِدَّة ..

***** ١٠ *****

— لقد كنت طفلة صغيرة نحيلة ، حينما رأيتك لأول مرة !

تطلعت إليه (صفاء) . وهي تغغم :

— كان ذلك منذ زمن طويل .. كنت حينذاك في

الثامنة .

ابتسم مغمماً في استخفاف :

— إذن فأنت تذكرين ! .. كم يبلغ عمرك الآن ؟

أجابته بشيء من الزهو . وكأنما تفخر بتلك السنوات ، التي نقلتها من الطفولة إلى الأنوثة :

— عشرون عاماً .

تراجع بمقعده دون أدنى انفعال . وفتح ثلاجته الصغيرة . المجاورة لمكتبه . وهو يغغم :

— عشرون عاماً ! .. إنها فترة كافية لتغيير

الصور الراسخة في الأذهان .

وأخرج من ثلاجته علبة مياه غازية مثلجة ، وصبها في كأس بلورية . وضعها أمام (صفاء) . وهو يقول :

***** ١٢ *****

— تفضلي .

ثم استأنف حديثه قائلاً :

— وما أخبار الحاج (جاد) ؟

ارتجفت الكأس في يدها . واكتسى وجهها بتعبير حزين . وترقرقت الدموع في عينيها . وهي تضع الكأس على سطح المكتب . مغممة في أسى :

— لقد توفي منذ شهرين .

قفز من مقعده كمن مسّه تيار كهربائي ، وهو يهتف :

— توفي ؟ ! .. كيف ؟ .. لماذا لم يبلغني الخبر ؟

أجابته . وهي تحاول أن تتناسك :

— لقد كان — رحمه الله — مريضاً بقلبه ، ولم

يشأ أن يخبرك .

رشدي :

— لماذا ؟

صفاء :

— لأنه كان يعلم أنك ستصرّ على تحمّل تكاليف

***** ١٢ *****

علاجه ، حتى ولو اضطر الأمر لإرساله إلى الخارج .
وكان يرفض ذلك ؛ لأنه يراه استغلالاً لكرمك .

أجابها في تأثر شديد :

— كيف يفكر على هذا النحو ؟

صفاء :

— لقد منحنا تلك الشقة ، التي نقيم فيها في
(المنصورة) ، وكنت ترسل إلينا شهرياً نفس الراتب ،
الذي كان يتقاضاه أبي ، حينما كان يعمل في خدمتك ،
وأنا أدين لك بهذا الفضل ، فلولاه ما أمكنني مواصلة
دراستي ، ولم يكن أبي يرى من المناسب أن نطالبك
بما يفوق ذلك .

تهض (رشدي) من خلف مكتبه ، وجلس على
المقعد المواجه لها ، قائلاً في عصبية ، طغت على
تأثره :

— أتطلقين على ما كنت أفعله صفة الكرم ؟ .. إن
الموظف ، الذي يحال إلى التقاعد ، يستحق معاشاً ..
أليس كذلك ؟ .. إن والدك — رحمه الله — لم يكن مجرد

***** ١٤ *****

موظف يعمل في خدمتنا ، بل كان أبي يثق به ثقة
كاملة . وأنا كذلك لم أنظر إليه أبداً كمجرد طبّاخ
للأسرة ، وإنما كنت أراه دوماً كصديق حنون مخلص
على الرغم من فارق السن بيننا ، والشخص الوحيد
المخلص ، الذي يمكنني أن أثق فيه بعد والدي ، وبعد
وفاة أبي ، كان لي بمثابة أب حنون ، أفرغ معه
همومي ، ويمتص بحلمه عصبيتي وانفعالاتي الزائدة
الحادة ، كما لم أعهد في أي مخلوق آخر ، وعندما أخبرني
برغبته في التقاعد ، بعد أن تقدّمت به السن ، وتوفيت
زوجته ، رجوته أن يبقى في منزلنا ، دون أن يطالبه أي
مخلوق بأدنى عمل ، وأن يستقدمك من (المنصورة) ،
وأبديت له استعدادي لإعالتكم جميعاً ، إلا أنه أصرّ
على الرفض ، وعلى العودة إلى بلده ، وعلى الرغم من
رحيله ، فقد كان يحضر لزيارتي في انتظام ، حتى
انقطعت عني زيارته فجأة ، وانهمكت أنا في إدارة
أعمال أبي — بعد رحيله — وكان منتهى التقصير مني
ألا أحاول زيارته ، والاطمئنان عليه ، مكثفياً بذلك

***** ١٥ *****

المبلغ الزهيد الذي أرسله له بريدياً كل شهر . وأخشى
أنه قد لقي ربه متأثراً بذلك الجحود من جانبي . ودون
أن أبذل أدنى جهد في محاولة علاجه . أو حتى إلقاء
نظرة أخيرة عليه قبل وفاته .. ثم تتحدثين عن كرمي ؟
أى كرم هذا ؟

كانت عصبية قد هدأت قليلاً . وحل التأثير محلها .
تأثر حقيقى يعيد إليك الشعور بآدميته . وبالتعاطف
معه ..

وحرّك تأثره مشاعر (صفاء) . وأزال من نفسها
خوفها منه . بعد أن توحّدت مشاعرهما تجاه والدها
الراحل ، وبدأ لها مختلفاً تماماً عن ذلك الليث الثائر ،
الذى رآته يزجر منذ لحظات . فغمغمت وهي تخرج
من حقيبتها مظروفاً ، وتقدمه له :

— أشكر لك شعورك هذا نحو أبى ، ولكنها إرادة
الله (سبحانه وتعالى) على أية حال . ولقد جئت لأردّ
لك المبلغ الذى أرسلته هذا الشهر ، قبل أن تعلم بوفاة
أبى ، فلم تعد هناك حاجة لإرساله بعد ذلك .

***** ١٦ *****

أجابها مقطّب الجبين :

— أعيدى المبلغ إلى حقيبتك .. سيبقى كل شيء
كما كان . وسيصلك هذا الراتب شهرياً كالمعتاد ، فلم
يصل فى الأمر إلى حد التخلص عن رعاية ابنة الرجل ،
الذى خدمنى ، وخدم والدى بكل الوفاء والإخلاص ،
بعد أن تخلّيت عن زيارتي له ، وعبادته فى مرضه .

هزت رأسها ، قائلة :

— معذرة .. لم يعد باستطاعتي قبول المبلغ ، بعد
وفاة والدى .

هتف فى عصبية . وهو يلقي المظروف إليها :

— أطيعى ما أمرك به بلا جدال .

هبت واقفة ، وهي تقول فى عناد :

— معذرة يا أستاذ (رشدى) .. سأعمل ، وأدبر
احتياجاتى بنفسى .

صاح فى حدة :

— اسمعى يا فتاة .. إننى أكره من يناقش قراراً
أأخذ .. دعى عنك هذه الكبرياء الفارغة . فما زلت

***** ١٧ *****

بعد صغيرة . تحتاج إلى الرعاية ، على الرغم من سنوات
عمرك العشرين .

استفزتها هذه الكلمات . شعرت فيها بإهانة
لأنوثتها . ولشخصيتها . وأدهشها أنه قادر على قلب
مشاعرها تجاهه بهذه السرعة . فمن الخوف والرغبة إلى
التعاطف والحنان . ثم التحدى والغضب . وقررت أن
تجيب عبارته الاستفزازية بكلمات تتناسب معها ، وأن
تخبره أنها لم تعد طفلة . وأنها تستطيع تدبير أمرها دون
وصايتها . أو إعاناته الشهرية ..

ولكن كل ذلك بقي حبيساً في صدرها ..

كانت نظراته القوية . المثبتة على وجهها أقوى
من إرادتها . ومن قدرتها على النطق ..

وفجأة ارتفع رنين هاتف مكتبه ، فنهض في حدة
ودار حول المكتب . وجلس فوق مقعده ، والتقط
سماعة الهاتف . شعرت هي بأن هذه المحادثة الهاتفية
قد أتت في موعدها تماماً . لتنتزعها من شعورها
بالعجز والضعف . إزاء هذا الرجل ، وسمعته يزجر

***** ١٨ *****

في غضب ، وهو يهتف في سماعة الهاتف :

— أمثالك من الكسالى الأغبياء يستحقون القتل رمياً
بالرصاصة .. الحق به قبل أن يسافر ، وحاول أن تصلح
ذلك الخطأ ، وإلا فلا تدعني أرى وجهك بعد اليوم ..
عاودها شعورها بالخوف والرغبة ، وهي تسمعه
يتحدث على هذا النحو . وتلاشت رغبته في تحدّيه .
والإعلان عن غضبها . وبدأ لها أنه من الأفضل أن تسلك
خارجة ، في أثناء انشغاله بالحديث الهاتفي . فتحرّكت
نحو باب الحجرة في ببطء وحذر ، وكأنها تخشى أن
يلحظها وهو على ذلك النحو الثائر ، ولكنها لم تكد
تقترب من الباب حتى أعاد سماعة الهاتف إلى موضعها
في عنف ، وصاح بها في لهجة أمرة غاضبة :

— اثبتى في مكانك .

وتسمّرت مكانها في رعب ، وهي لا تدري ماذا
تفعل ، وأصيب تفكيرها بشلل تام ، إزاء ذلك الصوت
الخفيف .. الصوت الأمر ..

***** ١٩ *****

ظلت (صفاء) مسمرة : جامدة في مكانها ،
حتى نهض من خلف مكتبه ، واقترب منها قائلاً في
صرامة :

- إلى أين ؟

أجابته في صوت مرتجف خائف :

- لقد أعددت لك نقودك . وأخبرت كل
ما لدى . ولم يعد هناك ما يدعو للبقاء .

زفر في حنق . وهو يقول في حدة :

- أنت شديدة العناد مثل المرحوم والدك تماماً .

وصمت برهة مفكراً . ثم استطرد :

- ما طبيعة الشهادة التي تحملينها ؟

- أنا خريجة معهد السكرتارية .

- حسناً .. مادمت ترفضين مساعدتي المادية ،

فسأقدم لك عرضاً آخر .. ما رأيك بالعمل كسكرتيرة

لي ؟ ... ستحصلين على راتب جيّد .

***** ٢٠ *****

حاولت أن تتكلم . ولكنه تابع في حزم :

- لا اعتراض .. إنها ليست إعانة مستترة . كما

تظنين . إنك ستبدلين جهداً شاقاً مقابل هذا الراتب ..

ستكونين سكرتيرة في الخاصة . ترتبين كل مواعيدى

وأوراقى . وترافقينى في كل الاجتماعات ورحلات

العمل . وهذا يحتاج إلى جهد كبير . وليس بالأمر

اليسير على الإطلاق . صحيح أنك ستحصلين على راتب

جيّد . ولكنك ستعملين مقابل كل قرش فيه .

غمغمت في خفوت :

- ولكننى أريد أن أقول ..

قاطعها مرة أخرى في حدة :

- لا تثيرى ضيقى أكثر من ذلك .. ستبقيين تحت

رعايتى ، هذا قرارى الأخير ، وأنا واثق أنتى لو كنت

قد التقيت بوالدك ، قبل أن توافيه المنية . ما أوصانى

بغير ذلك .

غمغمت (صفاء) في حيرة :

- ولكننى لست أعرف أحداً في (القاهرة) .

***** ٢١ *****

ولن أجد أى أقارب أقيم معهم ، حينما أعمل هنا .

مسح عينيه المرهقتين ، قائلاً :

— لا مشاكل .. ستقيمين فى منزلى .

حدقت فى وجهه بدهشة واستنكار ، وبدأ لها أنه قد تجاوز كل الحدود المقبولة ، قبل أن يستدرك فى حدة :

— لم تتطلعين إلى هكذا ؟ .. إنك ستقيمين مع أمى .. إننا نملك منزلاً كبيراً ، يحوى العديد من الحجرات ، وإقامتك به ، فى غير أوقات العمل ، لن تسبب أية مشاكل على الإطلاق .

ازدردت لعابها ، وهى تغغم فى توتر :

— أستاذ (رشدى) .. لم لا تمنحنى الفرصة للكلام ؟

أشاح بوجهه ، وهو يعود إلى مكتبه ، وكأنما يعلن إصراره على قراره ، قائلاً :

— لأن خبرتى الطويلة علمتنى أن أقرأ فى عيون من أمامى ما يريدون قوله ، قبل أن ينطقوا به ، وأن

***** ٢٢ *****

ما ستقولينه لن يتجاوز العبارات المألوفة السخيفة ، مثل أن هذا لا يصح ، أو ذاك لا يجوز ، ولست أريد ... إلى آخر هذه الحماقات غير العملية ، التى لا تناسب مع طموح وإصرار فتاة ترغب فى شق الحياة وحدها .. إتنى أعرض عليك عملاً جيّداً ، براتب معقول ، ورعاية والدتى المسنة أيضاً ، مقابل الإقامة إلى جوارها ، وهذا يعنى أنه ما من أحد يملك فضلاً عليك ، وحينما ترغبين فى الزواج ، يمكنك مغادرة المنزل إلى منزل زوجك ، أو حتى الاستقالة ، فلن يعترض أحد حينذاك ، وإلى ذلك الحين سأكون مشغولاً عنك ، أمام روح والدك الراحل .

وقبل أن تنطق بكلمة ، ضغط زراً فوق مكتبه ،

فدخل إلى حجرته مدير المكتب ، فابتدره قائلاً :

— أعيد عقد عمل للآنسة (صفاء) .. ستكون منذ

اليوم سكرتيرتى الخاصة ، واتصل بالسائق ليعدّ سيارتى خلال نصف ساعة .

لم يُخف مدير المكتب دهشته ، من ذلك التعيين

***** ٢٣ *****

المفاجئ ، إلا أنه هز رأسه في احترام ، قائلاً :
— كما تأمر يا سيّدى .. تفضّل معى يا آنسة
(صفاء) .

وتشاغل (رشدى) بمراجعة بعض الأوراق على
مكتبه . كما لو كان قد أنهى الأمر نهائياً ، على حين
غادرت (صفاء) الحجرة مع مدير المكتب ، وهى
تشعر بأن إرادتها قد سلبت منها . وأنها لم تعد تملك
سوى الانصياع لأوامر ذلك الرجل . الذى يمتلك
قدرة خارقة على فرض شخصيته على الآخرين ،
لا يضاهيها سوى قدرته على إثارة خوفهم منه ،
وكرهيتهم له ، حتى وهو يمد لهم يد المساعدة ..

ومن الغريب أنها لم تشعر نحوه بالامتنان ، على
المرغم من أنه قد قدّم لها مساعدة قيّمة بالفعل ، قلّ أن
تتوافر لمثلها .. وظيفة ممتازة .. راتب جيّد .. إقامة
مجّانية .. ولكن شيئاً ما كان يحول بينها وبين الشعور
بالامتنان تجاهه ..

ربما كانت غطرسته الواضحة ، أو نبراته الحادة

***** ٢٤ *****

المخيفة ، أو نظراته القوية المؤثرة ، أو استخفافه الدائم
بالآخرين ، وعدم إقامته أى وزن لإرادتهم وآرائهم ..
أو هو كل ذلك ..

المهم أنها قد وقعت تحت تأثيره ، منذ التقت به ،
وهذا ما يخيفها .. يخيفها فى شدة ..

جلست إلى جواره صامته ، فى المقعد الخلفى
لسيارته ، التى انطلقت فى طريقها إلى منزله ، وتشاغل
هو عنها بتصفّح بعض أوراقه ، دون أن يعيرها أدنى
اهتمام ، على حين أخذت هى ترمقه بطرف عينها ،
وكأنما تحاول استشفاف المزيد من شخصيته ..

وفجأة تذكرت أنها تصحبه إلى منزله ، دون أن
تحمل حقيبتها ، أو أى من مستلزماتها الشخصية ،
وأدهشها أنها قد أسلمت له قيادها على هذا النحو ،
الذى أنساها ذلك ، فغمغمت وكأنها تحدث نفسها
بصوت مرتفع :

— كان من الضرورى أن أحضر ملابسى وأشياءى .

***** ٢٥ *****

أجابها في حزم ، ودون أن يرفع عينيه عن أوراقه :
- سأرسل من يحضرها لك ، ولن تحتاجي إليها على
آية حال ، فسأحضر لك بعض الملابس الجديدة ، التي
تناسب مع مظهرك كسكرتيرة خاصة لي .

عاد أسلوبه وتعليقه يستفز أن مشاعرها ، فقالت
في عصبية :

- إنني أعرف كيف أحافظ على مظهري ، دون
الحاجة إلى ثيابك الجديدة .

غمغم في برود :

- سيكون عليك إثبات ذلك .

عبرت السيارة بوابة فيلا (رشدي) في تلك اللحظة
وتطلعت (صفاء) في انبهار إلى تلك الحديقة الرائعة ،
التي تحيط بالفيلا ، التي تبدو أشبه بالقصر ، قبل أن
يقطع (رشدي) انبهارها وهو يقول بلهجته الآمرة :
- انزلي .

هبطت (صفاء) ، وتبعته في صمت إلى داخل
الفيلا ، حيث قفز انبهارها إلى ذروته ، وعاودها ذلك

***** ٢٦ *****

المزيج من الرهبة والخوف ، إزاء تلك الفخامة الرهيبة ،
التي يشق عنها كل ركن من أركان الفيلا ، وسبقها
(رشدي) إلى شرفة فسيحة ، حيث تجلس سيّدة مسنة
فوق مقعد وثير ، ترتشف قدحاً من القهوة ، وتمتّع
عينها بالزهور التي تغطي جدران الشرفة ، وانحنى
(رشدي) يقبّل يد السيدة ، قائلاً :

- مساء الخير يا أمي .

تطلعت إليه أمه في حنان ، وهي تقول :

- لماذا تأخرت يا (رشدي) ؟

- كانت لدي بعض الأعمال الهامة .

- من الواجب أن تتصل بي هاتفياً ، حتى
لا يصيبني القلق عليك .

قطب جبينه في ضيق ، أمام ذلك العتاب ، وهو
يزفر قائلاً :

- لم أعد صغيراً يا أماه .. إنني الآن رجل أعمال .

أدير مؤسسة ضخمة ، ولست أملك وقتي .

تجاهلت الأم انفعالاته ، وهي تقول :

***** ٢٧ *****

— لست أطالبك بأكثر من محادثة هاتفية .. هل يبدو لك ذلك كثيراً ؟

هز رأسه في استسلام ، مغمغماً :

— كلاً .. إنه ليس كذلك .. ولكن هناك موضوعاً هاماً ، أحب أن أخبرك به .. هل تذكرين عم (جاد المولى) ؟

أسندت الأم رأسها إلى مقعدها ، وهي تجيب :

— ومن ذا الذي ينسى ذلك الرجل المخلص الوفي ؟

أطرق (رشدي) برأسه ، مغمغماً :

— لقد نسيناه تماماً للأسف ، حتى أننا كنا نكتفي

بإرسال مبلغ من المال إليه ، على الرغم من أن والدي

— رحمه الله — قد أوصانا به قبل وفاته .

غمغمت الأم :

— لقد انقطعت عنا أخباره ، وينبغي أن ..

قاطعها في حزن :

— لقد توفي منذ شهرين .

اختلط الحزن والتأثر في ملامحها ، وهي تقول :

***** ٢٨ *****

— مات ؟ .. لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

همس في اهتمام :

— هناك وسيلة لتعويض تقصيرنا في حقها .. إن له

ابنة في العشرين . وحيدة بعد وفاته . ولقد منحها

وظيفة سكرتيرة خاصة في المؤسسة ، وستقيم معنا هنا

بعض الوقت ، لتشرف على رعايتك ، إلى أن تتزوج .

غمغمت الأم ، بعد برهة من التفكير

— وأين هي ؟

أشار (رشدي) إلى (صفاء) ، التي تقف وراء

زجاج الشرفة ، قائلاً :

— تعالى يا (صفاء) .

تقدمت (صفاء) في حياء ، وصافحت الأم ،

التي تأملتها لحظة في صمت ، ثم ابتسمت ابتسامة واسعة ،

وهي تقول في حنان :

— مرحباً بك يا بنيتي .. مرحباً بك في منزلك ..

***** ٢٩ *****

٤ - طفل في أعماقه ..

أدركت (صفاء) ، بعد شهر كامل من العمل إلى جوار (رشدى) ، أنه لم يكن مبالغاً بشأن صعوبة عملها معه ، فلقد كانت أيامه مشحونة بالعمل إلى حد أنهاكها ، وهى تعجز عن متابعة نشاطه الجهم ، الذى لا يكل ، ولا يعترف بالتعب ، فى حركة دائمة ما بين مكتبه ، والسفر إلى فروع الشركة المختلفة ، والموانى ، والاجتماعات ، والصفقات ، والمناقشات المضنية ، وكان عليها أن تظل دوماً متقدمة الذهن ، مستعدة لتسجيل كل ما يطلبه ، أو يمليه عليها ، وأن تصبح منافسة لأجهزة الكمبيوتر الحديثة ، وهى تتذكر كل خطواته وأعماله ومواعيده ، التى لا حصر لها ..

ولم يكن هذا وحده ما يرهقها ..

هو فى حد ذاته كان مصدر إرهاق بالغ لكل مشاعرها وانفعالاتها النفسية ..

لقد أيقنت ، على الرغم من قربها منه ، خلال

***** ٣٠ *****

الأيام الماضية ، فى كل خطواته تقريباً ، أنها لن تفلح أبداً فى التآلف معه ، فهو يبدو لها ، خلال مقابلاته ، ومناقشاتهِ لرجال الأعمال ، من المصريين والأجانب ، ديبلوماسى من الطراز الأول ، يسيطر على الحديث ، ويديره فى مقدرة وذكاء ، إلا أنه لا يلبث أن ينقلب إلى شخص همجى ، لا يقيم وزناً أو اعتباراً لمشاعر الآخرين ، عند أدنى خطأ يصدر منهم ..

ولقد تراوحت مشاعرها تجاهه ما بين الخوف والرهبة أحياناً ، والكراهية والتحدى فى أحيان أخرى ، وكانت تجد دوماً تفسيراً لذلك ، ولكن مبعث حيرتها كان ذلك الشعور الغامض ، الذى يومض وسط كل هذه المشاعر فجأة ، وينطفئ سريعاً ..

ذلك الإحساس الذى تحرك داخلها ، حينما التقت به أول مرة ، وراح يتحدث عن والدها فى عاطفة ..

إحساس تلك اللحظة ، التى انسلخ فيها عن شخصيته العنيفة المتقلبة ، وتوحّدت مشاعره ومشاعرها فى إطار واحد ..

***** ٣١ *****

ذلك الإحساس المبهم نفسه مازال يومض داخلها ،
من آن لآخر ، ويبسوخافتاً إلى جوار مشاعرها
وأحاسيسها الأخرى تجاهه ..

ذات يوم جلست معه في مكتبه ، تسجل ما يمليه
عليها على آلتها الكاتبة ، فأعلنت الساعة تمام الثامنة
مساءً ، وكشفت أنها تعمل منذ اثنتي عشرة ساعة
متصلة ، وكان ذلك كافياً لتشعر بكل التعب والإرهاق
فتوقفت أصابعها ، ونهالت في إعياء ، فتطلّع إليها
قائلاً :

— هل تعبتي ؟

أجابته في لهجة أقرب إلى الرجاء :

— ألا يمكننا أن نحصل على قدر من الراحة ؟
أخذ يدور في أرجاء الحجرة ، عاقداً كفيه خلف
ظهره ، ثم التفت إليها ، قائلاً :

— لا بأس .. يمكنك أن تطلبي من السائق إعادتك
للمنزل ، وسأبقى أنا بعض الوقت .
وجدت في نفسها الجرأة لتقول :

***** ٣٢ *****

— ولكنك مرهق أيضاً وتحتاج إلى قدر من الراحة .
أشعل سيجارته ، وجذب منها نفساً عميقاً ، ثم
قال في سخرية :

— لقد ألفت التعب والإرهاق ، وصاروا جزءاً
من تكويني ، فلا يقلقنك أمري .

قالت ، وقد شجّعها حديثه على الاسترسال :

— ولكن لكل جسد حدوداً .

تغلبت عليه طبيعته العصبية ، وهو يهتف في حدة :

— إني أعلم حدودي جيّداً ، أما أنت ففتجاوزين
حدودك ، بتدخلك في شئوني على هذا النحو .

بدت لها كلماته قاسية ، خالية من اللياقة ، فاحتقن
وجهها غضباً ، ولكنه تجاهلها ، وهو يتصل بالسائق
هاتفياً ، ويطلب منه إعادتها إلى المنزل ، ثم التفت قائلاً
في برود :

— هيّا .. السائق ينتظرك .

تسمّرت في مكانها لحظة ، وكادت تنفجر في وجهه
غاضبة ، لولا أن صاح في حدة :

***** ٣٣ *****

(٣ - نداء قلب - زهور)

— ماذا تنتظرين ؟

لم تقو إلا على مغادرة المكتب في خطوات سريعة ،
وفي أعماقها غضب هائل مكبوت ، وخجل لا مثيل
له ، وشعور غامض ، لم تفهم كنهه أبداً ..

دلفت (صفاء) إلى حجرة أم (رشدى) ، التي
تمددت فوق فراشها ، واستغرقت تماماً في مطالعة
رواية كبيرة ، فلم تشعر بوجودها ، حتى طرقت (صفاء)
الباب ، وهي تقف على عتبة ، قائلة :

— مساء الخير يا (أمينة) هانم .

رفعت الأم عينيها عن الرواية ، واستقبلتها بابتسامة
صافية ، وهي تقول :

— مساء الخير يا (صفاء) .. تعالى .

اقتربت (صفاء) من فراشها ، وقدمت لها كوباً
من الماء ، مع أحد أقراص دوائها ، قائلة :

— موعد الدواء يا سيدتى .

اصطنعت الأم تكشيرة كبيرة ، وهي تقول :

***** ٣٤ *****

— لن أتناوله منك ، ما لم تكفى عن مخاطبتى
بكلمتى (هانم) ، و (سيدتى) .
صفاء :

— ولكن ..

— ولكن ماذا ؟ .. قلت لك مراراً إننى قد حرمت
ابنتى ، التي ماتت في ريعان الصبا ، وإننى أرى فيك
صورة منها ، وأحب أن تخاطبيني بلقب (أمى) .. ألم
نتفق على ذلك ؟

أطرقت (صفاء) بوجهها ، مغممة :

— بلى .

ابتسمت الأم في حنان ، وهي تقول :

— حسناً .. بم تخاطب الابنة أمها إذن ؟

تلعثمت (صفاء) ، وهي تغغم :

— تخاطبها بـ .. بيا أمى .

اتسعت ابتسامة الأم الحانية ، وهي تقول :

— نعم يا (صفاء) .. أسمعني إياها .. لا يمكنك

أن تتصورى كم يسعدنى سماعها من بين شفئك .

***** ٣٥ *****

تطلعت إليها (صفاء) في تعاطف ، مغممة :

— أنت شديدة الطيبة يا أماء .

قالت الأم في تعاطف مماثل :

— وأنت كذلك يا بنيتي .. شديدة الطيبة والنقاء ،

تماماً مثل المرحوم والدك .

وتناولت منها قرص الدواء ، وابتلعتته ، ورشفت

بعده القليل من الماء ، وأعادت إليها الكوب مغممة :

— شكراً يا بنيتي .. إنك لا تدين أبداً مواعيد

دوائى . على الرغم من انشغالك طيلة اليوم مع (رشدى)

وترددت لحظة . قبل أن تردف :

— أيمكنك مجالستي قليلاً ؟

جلست (صفاء) على المقعد المجاور للفراش في

هدوء ، على الرغم من شعورها العنيف بالإرهاق ،

وهي تتطلع إلى الأم ، التي تابعت :

— معذرة يا بنيتي . لو أنني أطلبك بمجالستي ،

على الرغم من علمي بمدى إرهاقك . ولكنني أشعر

بوحدة قاسية ، وأحتاج إلى من أتحدث معه قليلاً .

ابتسمت (صفاء) ، قائلة :

— يسعدنى الجلوس معك دوماً يا أماء .

تهتدت الأم في حزن . قبل أن تقول :

— (رشدى) لا يجلس معى إلا فيما ندر .. لقد

صرت بالنسبة إليه كمها مهملاً .

شعرت (صفاء) بالعطف تجاهها ، وهي تغمغم :

— ليس الأمر كما تتصورين يا أماء . كل ما هناك

أن أعماله ومسئوليته كثيرة ومتعددة ، وهي تحول بينه

وبين قضاء الوقت الكافى معك .

همست الأم في خفوت :

— أخبرينى بكل صراحة يا (صفاء) .. هل يسىء

(رشدى) معاملتك ؟

حاولت (صفاء) أن تخفى عنها مشاعرها ، وهي

تغمغم :

— على العكس .. إننى سعيدة للغاية بالعمل مع

الأستاذ (رشدى) .. إنه ..

قاطعتها تلك النظرة المعاتبة في عيني الأم ، وهي

تربّت على كتفها ، قائلة :

— إنك لا تجيدين الكذب يا بنتي ، وعيناك الصافيتان تنطقان بالحقيقة دوماً .. إنني أعلم جيداً أن (رشدى) يعدّ بالنسبة للكثيرين شخصاً لا يطاق ، ولكن صدقيني .. إنه ليس سيئاً إلى هذا الحد .. لست أقول ذلك لأنه ابني ، ولكن لأنني أعرف ما في أعماقه جيداً ، أكثر من أى شخص آخر .. إن بداخله طفلاً صغيراً ، يمتلئ حباً وحناناً ورقة ، ولكنه يحاول إخفائه دوماً ، خلف مظهر خشن جاف ، ويكره إلى أقصى حد أن يكشف أحد طبيعة ذلك الطفل داخله .

ارتسمت الدهشة على وجه (صفاء) ، وهي تستمع إلى تحليل الأم لشخصية ابنها ، وشعرت بالحيرة وهي تتساءل : أهذا التحليل تابع من أمومتها ؟ ..

أم من فراستها ؟ ..

٥ - مشاعر حائرة ..

عادت (صفاء) إلى حجرتها ، دون أن تفارقها تلك الحيرة ، فيما قالت له الأم عن ابنها ، وراحت تتساءل بدورها : أيمكن أن تختفى خلف طبيعة (رشدى) العنيفة الحادة ، شخصية أخرى رقيقة حانية حقاً ؟ .. إنها لا تتصوره على هذا النحو أبداً ، فكل ما رآته فيه ، ومعه ، من خلال عملها إلى جواره ، وتعاملاته مع الآخرين ، يؤكد أنه رجل بلا مشاعر ، يوقف حياته لعمله فقط ، وللنجاح فيه بأية وسيلة ، حتى ولو كان ذلك على حساب كل من حوله ، ومن يحاول الاقتراب منه ، بل على حساب أعصابه وذاته التي يكاد يفنيها في العمل ، فعلى الرغم من كونه رجل أعمال ناجحاً ، إلا أنه يعطى من حوله إحساساً مخيفاً ، يدفعهم إلى الابتعاد عنه ، وخشيته إلى أقصى حد ، وربما كان ذلك سر نجاحه ..

تمددت على فراشها ، عقدت ساعديها أسفل رأسها ، وأفكارها تتنازعها في شدة ..

إنها لا تُنكر أنه يتمتع ببعض المبادئ والحاصل
الحميدة ، على الرغم من فظاظته ، فوافؤه الشديد لأبيها ،
وتأثره الشديد بنبأ وفاته ، وشهامته وإصراره على
رعايتها ، وشعوره بالمسئولية تجاهها ، كلها صفات
تشف عن طبيعة إنسانية في أعماقه ، ولكن - مع
الأسف - كل خصاله الطيبة تتلاشى أمام ذلك
الأسلوب الذى يحكم تصرفاته بصفة عامة ، فعاملاته
الجافة وخشونته ، لا تدعان الفرصة لأحد . ليذكر
شيئاً من أعماله الطيبة ، بل تدفع المتعامل معه دوماً
إلى الخوف منه ، أو استفزازه على نحو بغض .

ولكنها من الضرورى أن تفكر على نحو عملي . كما
قال لها ، فتجاهل معاملته القاسية ، ولا تندفع وراء
انفعال أحق ، قد تخسر من ورائه كل شيء بعد أن
منحها المأوى ، والعمل الجيد ، فى وقت صارت فيه
وحيدة ، ثم إنها تتعب وتكد للحصول على راتبها ، ولن
يسببها أن تحتل بعضاً من خشونته ..

ويمكنها أن تستقل بمسكنها فى إحدى الفنادق

***** ٤ *****

الرخيصة لو أرادت ، لتقلل من سلطانه عليها ، على
الرغم من أن أمه تثبت ببقائها فى المنزل ..

نعم .. إنها ستحتمل ، حتى يمكنها أن تحصل على
وظيفة أخرى ، تضمن لها مواجهة هذه الحياة القاسية
التي تنتظرها كفتاة يتيمة وحيدة بلا قريب أو مورد ..

لن تسمح لمشاعرها بهزيمتها . مادامت بحاجة إلى
العمل الذى منحها إياه ، وليكن هذا ما يحكم علاقتها
به منذ اليوم ..

اشتركت حيرتها مع إرهابها البدنى ، وأحاط
الجميع بذهنها المكدود ، وأطرافها المتهالكة ،
فاستسلمت فى ببطء إلى نوم عميق .. عميق .. عميق ..

استيقظت (صفاء) من نومها فى ذعر ، وتطلعت
فى هلع إلى ساعتها ، التي أشارت إلى تأخرها عن موعد
الذهاب إلى الشركة ، فقفزت من فراشها ، وراحت
ترتدى ملابسها على عجل ، وهى تتساءل فى خوف
عما يمكن أن يفعله بها (رشدى) ، بسبب تأخرها ..

***** ٤١ *****

إنها المرة الأولى ، التي تتأخر فيها عن عملها ،
ولكنها واثقة من أنه سيوبخها ، ويؤنبها في شدة ، أو
على الأقل سيرمقها بواحدة من نظراته القاسية النارية ،
التي تعلن عن كونها فتاة لاهية ، لا تصلح للعمل مع
رجل وافر النشاط مثله ، وسيكون هذا — بالنسبة لها —
عقاباً قاسياً ..

وهبطت في سرعة إلى الطابق الأرضي ، حيث
وجدت عم (درويش) الخادم ، فسألته في توتر :
— متى انصرف الأستاذ (رشدي) ؟
— منذ ساعتين تقريباً يا آنسة (صفاء) .
— ألم يقل شيئاً ما ؟ .. أعني ألم يسأل عني ؟
— كلا .. لم يقل شيئاً .. لقد تناول فطوره على
عجل ، وغادر المنزل .

هبط قلب (صفاء) بين قدميها ، وهي تتصور أن
هذا الأسلوب جزء من إعلان سخطه على موقفها ،
وسمعت صوت الأم يناديه من الشرفة :
— صباح الخير يا (صفاء) .

التفتت (صفاء) نحوها ، وشعرت أنها تستمد من
صوتها الحنون بعض الدفء ، فقالت :
— صباح الخير يا (أمينة) هان ..
رمقتها الأم بنظرة معاتبة ، فبترت عبارتها ،
لتستطرد في خفوت :
— يا أمي العزيزة .

ابتسمت الأم في حنان ، وهي تسألها :
— هل نمت جيداً أمس ؟
أجابتها (صفاء) في أسف ، وهي تتجه إليها :
— يبدو أنني قد استغرقت في النوم ، أكثر من
اللازم ، وتأخرت عن موعد ذهابي إلى الشركة ،
وسيغضب الأستاذ (رشدي) بالتأكيد .
ابتسمت الأم ، قائلة :

— لقد سافر (رشدي) إلى (باريس) هذا
الصباح ، وسيقضي هناك أربعة أيام ؛ لإنجاز بعض
الأعمال .

ارتسمت الدهشة على وجه (صفاء) ، وهي تقول :

— سافر ؟! .. ولكنه لم يعلمنى بذلك أمس ؟!

ضحكت الأم ، وهى تقول :

— هكذا (رشدى) دائماً ، لا يمكنك التنبؤ أبداً

بما سيفعله غداً .

ولكن (صفاء) وجدت نفسها تهتف فى عصبية :

— ولكننى سكرتيرته الخاصة ، وكان ينبغى أن

أعلم ..

عادت الأم تبسم ، وهى تقول :

— ولماذا كل هذه العصبية ؟

شعرت (صفاء) بالحيرة والحجل من نفسها ،

وهى تتساءل : لماذا حقاً هذه العصبية ؟ .. أكان ينبغى

عليه أن يخبرها بكل خطواته القادمة ؟ .. إن من حقه

أن يسافر وقتما يشاء ، ولا يوجد أدنى سبب يدعو

إلى إخبارها بذلك ، ثم إنها ستحصل على إجازة لعدة

أيام ، ترتاح خلالها من عناء العمل المضنى معه ،

وينبغى أن يسعدّها ذلك ، لا أن يغضبها ! ..

***** ٤٤ *****

وأيقظها من شرودها صوت الأم ، وهى تقول
فى نبرات حزينة :

— سيظل (رشدى) دوماً يحتفظ بعشقه الدائم

لعمله . الذى يستحوذ على كل تفكيره .

رسمت (صفاء) على شفيتها ابتسامة ، أزال

تعبيرها العصبى . وهى تقول :

— ينبغى أن يسعدك هذا يا أمّاه . فهو ناجح

ومرموق .

تطلعت إليها الأم بمزيد من الحزن ، وهى تقول :

— أعتقد أن هذا وحده يكفى لسعادتى وراحتى ؟.

هناك من أمور الحياة ما هو أكثر أهمية من النجاح فى

العمل ، حيث لا يكون للثراء أو النجاح معنى بدونه .

تطلعت إليها (صفاء) فى تساؤل ، فأردفت الأم :

— مثل الزواج .. إتنى أتمنى أن أرى ابنى الوحيد

زوجاً . قبل أن أفارق الحياة . ولكن (رشدى) يأبى

أن يحقق لى هذه الأمنية .. إنه عازف عن الزواج ،

على الرغم من كل الفتيات الجميلات ، اللاتى عرفهن ،

***** ٤٥ *****

وهو يرفض دوماً لأسباب واهية ، على الرغم من أنه لا يفتقر إلى ما يحقق له زواجاً ناجحاً ..

شعرت (صفاء) بالدهشة ؛ لأنها لم تطرح على نفسها هذا السؤال أبداً . إلا أنها غمغت في لهجة لم تنجح حتى في إقناعها هي :

— ربما لم يجد الفتاة المناسبة بعد ، أو جذبته دوامة العمل ، أو ..

قاطعتها الأم :

— أتعرفين كم يبلغ (رشدي) من العمر ؟ .. إنه في الثامنة والثلاثين ، أي أنه على مشارف العقد الخامس من العمر ، وما زال أعزب ، وما زلت أتساءل : متى سيبدأ في البحث عن زوجه ؟ .. أم أنه سيظل يدور في دوامة العمل ، حتى يغرق داخلها ؟

لم تجد (صفاء) ما تجيب به ، فلاذت بالصمت ، حتى استطردت الأم :

— إنك تقضين معه وقتاً أطول مني يا بنيتي . ولقد يئست من الحديث معه حول هذا الموضوع ، فلقد

***** ٤٦ *****

عرضت عليه في الأسبوع الماضي الزواج ، من فتاة يتمناها أي شاب ، من أسرة ثرية عريقة ، وجميلة للغاية وأهلها يرفضون زواجها من العديدين ؛ لأنهم يعلمون أنها تميل إلى (رشدي) ، حيث تربط أسرتنا علاقة قديمة ، إلا أنه يرفض مجرد الحديث في هذا الأمر . واو أنك نجحت في إثارة الأمر معه .. أعني ..

قاطعتها (صفاء) في استنكار :

— أنا ؟

وسرت في جسدها رعدة خفيفة ، لمجرد التفكير في إثارة هذا الموضوع معه ..

لقد هاجمها في عنف ، لمجرد أنها اقترحت عليه أن يمنح نفسه بعض الراحة ، من عناء العمل ، فما الذي سيفعله بها ، لو أثارت معه أمراً شديداً الخصوصية والحساسية كهذا ؟

وهزت رأسها في أسف ، وهي تقول :

— معذرة يا أماء ، لم أكن أحب أن أرفض لك

***** ٤٧ *****

أية مطالب . ولكننى لن أجد فى نفسى الشجاعة على مناقشته فى أمر كهذا أبداً .

لم تكذبتم عبارتها حتى تعالى رنين جرس الباب ، وسمعت أحد الأشخاص يتحدث مع الخادم . وحمدت الله (سبحانه وتعالى) : لأن هذا قد جذب انتباه الأم لحظات ، وخلّصها من شعورها بالحرج ، وأدهشها أن هبّت الأم من مقعدها . وهى تهتف فى فرح :
- (كمال) ؟ ! .. غير معقول .

التفتت (صفاء) إلى حيث تنظر الأم . ثم سرّت فى جسدّها رعدة قوية ..

لقد وجدت أمامها شاباً ممشوق القوام . وسيماً على نحو غير مألوف . وقد أضفت عليه ابتسامته الجذابة سحراً خاصاً .

شاب يصلح لحمل اللقب ، الذى يملأ قلب كل فتاة ..

لقب (فارس الأحلام) ..

***** ٤٨ *****

٦ - الزائر الغريب ..

احتضن الشاب الأم ، وهو يهتف فى مرح :

- خالتى العزيزة .. كم افتقدتك كثيراً .

قالت الأم فى عتاب حنون :

- لو أنك تفتقدنى حقاً ، ما تغيبت طوال شهرين

كاملين . دون أن ترسل خطاباً ، أو تتصل هاتفياً .

انحنى الشاب يقبّل يدها ، قائلاً :

- اغفرى لى يا خالتى العزيزة ، إننى أقرّ بذنبي ،

ولكنك لا تعلمين كم كنت مشغولاً طوال الفترة

الماضية .. لقد وصلت إلى (القاهرة) هذا الصباح ،

وما أن وضعت حقيبتي بالمنزل ، حتى هرعت إلى هنا

لرؤيتك .

ثم تلفت حوله ، هاتفاً :

- ولكن أين (رشدى) ؟ .. لا ريب أنه فى

مكتبه بالشركة ، فأمثاله لا يبقون فى منازلهم حتى هذه

الساعة ، إلا فى حالة المرض فقط .

***** ٤٩ *****

قالت الأم :

— لقد سافر (رشدي) لإنجاز بعض الأعمال في
(باريس) ، هذا الصباح .

ضرب (كمال) جيبته بيده ، هاتفاً :

— يا لحظي السيء .. لقد أوحشني ذا الوجه
العابس كثيراً .

ضربته الأم على يده ، وهي تبسم ، قائلة :

— ستظل طويل اللسان دوماً .. إياك أن تصف
ابني بذي الوجه العابس .

ضحك قائلاً :

— لماذا ؟ .. أليست هذه هي الحقيقة ؟ .. إنني

لم أراه أبداً ، إلا عابساً ، وعلى كل ، سأتغاضى عن
تلك التسمية من أجلك فقط ، ولكن متى يعود ؟

ابتسمت الأم ، وهي تجيب :

— بعد أربعة أيام .

طوّق (كمال) كتف خالته بذراعه ، هاتفاً :

— عظيم .. سنلتقي هذه المرة إذن ، فأنا أنوى

قضاء خمسة عشر يوماً في (مصر) .

همت (صفاء) بالانصراف ، وقد وجدت أن
اللياقة تقتضي منها تركهما معاً ، ليتجاذبا أطراف
الحديث ، إلا أن الأم هتفت بها :

— إلى أين يا (صفاء) ؟

استدارت إليهما (صفاء) ، والتقت عيناها بعيني

(كمال) لأول مرة ، وبدا وكأنه يراها لأول مرة ،

ولقد شعرت بشيء من السعادة ، حينما أطلت من عينيه
نظرة دهشة ، لم تلبث أن تحولت إلى الإعجاب ، وهو

يتطلع إليها من قمة رأسها ، حتى أخمص قدميها ، بنظرة

لا تخطئها غريزة الأنثى أبداً ، حتى ولو كانت بلا

تجارب مثلها ، إلا أنها لم تلبث أن طردت فكرة

الإعجاب من عقلها ، فشاب مثله ، يمتلك كل هذه

الوسامة ، إلى جانب الثراء ، لا بد أن تكون حياته

ممتلئة بالعلاقات الغرامية ، والفتيات الجميلات ،

مما يجعله لا يشعر أبداً بالإعجاب تجاه فتاة عادية مثلها ،

ولقد لاحظت الأم ما أصابها من ارتباك : فتقدمت إليها بابتسامتها الحانية المشجعة : قائلة :

— نسيت أن أقدم لك (كمال) . ابن شقيقتي —
رحمها الله — إنه يقيم معظم شهور السنة في (بلجيكا) ..
وهذه (صفاء) يا (كمال) . سكرتيرة (رشدى)
الخاصة . وهي بمثابة ابنتى .

صافح (كمال) (صفاء) . وهو يقول في مرح :
— يبدو أن ذوق (رشدى) قد تحسّن كثيراً ،
فلم أعهدده ينتخب سكرتيراته . يمثل هذا الجمال الطبيعى
الرقيق .

تضرّج وجه (صفاء) بخمرة الحجل . وارتجفت
أصابعها في ارتباك : فسحبت كفها من راحته في
سرعة . وهي تشعر بوقع جميل للإطراء في نفسها : لأنه
أول إطراء حقيقى تسمعه . لو استثنينا المعاكسات
السخيفة ، التى كانت تسمعها من الشبان في أثناء ذهابها
ولياها من مدرستها الثانوية . ومعهد السكرتارية ،

***** ٥٢ *****

أما الأم ، فقد رمقت ابن شقيقتها بنظرة تأنيب . وهي
تقول :

— ألم تتخل عن هذه المداعبات الثقيلة ؟ .. لقد
أخرجتها .

هتف (كمال) في مرح :
— ولكننى لم أقل سوى الحقيقة .. إنها حقاً
فاتنة ، حتى أتى أظن أن زهور الشرفة تتوارى خجلاً
أمام جمالها .

تصاعدت الدماء الحارة إلى وجنتى (صفاء) .
وهي تغادر الشرفة في خطوات سريعة ، وتلاحقت
أنفاسها في مزيج من السعادة والحجل ، وهي تهرع إلى
حجرتها . وتوعد بابها خلفها . ثم تتطلع إلى صورتها
في المرآة . وتسترجع كلمات (كمال) ، وهي تسأل
نفسها للمرة الأولى :

— أهى حقاً جميلة ؟ .. أم أنه يسخر منها ؟ ..
إنها لم تشعر يوماً بأنها تملك ذلك الجمال ، الذى
يمكنه أن يدير رءوس الرجال . ولم يراورها أبداً ذلك

***** ٥٣ *****

الفرور الأنثوى ، وهى تتطلع إلى وجهها فى المرأة ،
ولكن هذا لا يمنع من أنها تستحق لقب (جميلة) ، فعلى
الرغم من قوامها النحيل ، وتمرداها الدائم على استخدام
مسايق التجميل ، إلا أنها كانت نضرة الوجه ، تملك
ابتسامة مشرقة ، وشعرًا أسود ناعمًا ثقيلًا ، يكاد يغطى
كتفها ، وعيناها الصافيتان تحملان دومًا نظرة طفولية
حاملة ، لم تنجح مصاعب الحياة فى انتزاع براءتهما
ونقاتهما ، أو فتنتهما وإغرائهما .

وفجأة تسمرت فى مكانها ، وخفق قلبها فى قوة
وعنف ، حينما عكست المرأة خلفها صورة (كمال) ،
فتحولت إليه فى فزع ، ورأته يبتسم ، وهو يقول :
- المرأة لن تصف جمالك كله . انظرى إلى عيني ،
وستجدين صورة أكثر وضوحاً .

ازدردت لعابها فى صعوبة ، وهى تغمغم فى
ارتباك :

- كيف دخلت إلى هنا ؟ .. ومن سمح لك
باقتحام حجرتى على هذا النحو ؟

***** ٥٤ *****

ضحك قائلاً :

- الأمر غاية فى البساطة .. لقد بحثت عنك ،
وسألت عم (درويش) عن مكان حجرتك ، فأرشدنى
إليها ، ولقد طرقت بابك مرتين ، ولكن يبدو أنك
كنت تطالعين وجهك فى اهتمام ، فلم تنتبهى إلى طرقاتى ،
فلم أجد بداً من فتح باب الحجرة .

قالت فى غضب :

- لم أسمع أية طرقات ، وحتى لو كنت قد
فعلت ، ليس من حقك أبداً اقتحام حجرتى على هذا
النحو .

لم يتخل عنه مرجه ، وهو يقول :

- حسناً .. إتنى أقرّ وأعترف بالخطأ ، ولكن
اغفرى لى ، فلقد أنساني جمالك أصول اللياقة .
تضرّج وجهها بحمرة الخجل ، وهى تقول فى
تلعثم :

- أستاذ (كمال) .. ألا تعتقد أنك تتجاوز حدود
اللياقة ، بالتحدث معى على هذا النحو ؟

***** ٥٥ *****

أجابها في بساطة :

— لماذا ؟ .. أيتعارض مع اللياقة أن أعبر لك
عن إعجابي الشديد بجمالك ؟

لاذت بالصمت . مما شجعه على الاستمرار :

— إنني لست ممن يجيدون صنع المقدمات . فأنا
تلقائي ومباشر . مما يجعلني أبدو في نظر البعض بعيداً
عن اللياقة ؛ لذا فإنني أرجوك ألا تغضبي . حينما أطلب
منك قبول دعوتي ؛ لتناول العشاء في أي مكان . على
الرغم من أن تعارفنا لم تمض عليه دقائق بعد .

أدهشها أسلوبه ، وحيرتها جرأته ، فهزت رأسها
نفياً ، وهي تقول :

— يبدو أنك تتصور أنك لم تغادر (بلجيكا)
بعد ، حيث يسهل توجيه الدعوات وقبولها في لحظات .
ونسيت تقاليدنا هنا في (مصر) !

زفر في ضيق مصطنع . وهو يقول :

— ألا بد من مرور بعض الوقت . واصطناع
المواقف والمقدمات . ليتفق الأمر مع تقاليدنا الشرقية ؟

***** ٥٦ *****

ما جدوى إضاعة الوقت ، ما دامت النتيجة واحدة في
النهاية ؟ .. إنني لم أطلبك سوى بدعوة بريئة لمشاركتي
طعام العشاء ، فلست أحب أن أقضي ليلتي الأولى في
(القاهرة) وحيداً ، ولقد شعرت بميل سريع نحوك ،
وأظن أنك تشعرين بنفس الشعور تجاهي .

وجدت نفسها تهتف في حدة :

— وما الذي يدعوك إلى هذا الاعتقاد ؟ .. أظن
أنك تملك سحراً لا يمكن مقاومته ؟ ! .. يبدو أنك شديد
الغرور .

تطلع إليها في دهشة ، ثم لم يلبث أن أغرق في
الضحك ، وزادتها ضحكاته حدة وانفعالا ، فهمت
بمغادرة الحجرة ، لولا أن استوقفها ، وهو يقول
مغالباً ضحكاته :

— حسناً .. لا داعي للغضب .. إنك تبدين أشبه
بـ (رشدي) ، حينما يتفعل لآفته الأسباب . يبدو أن
عملك معه قد طبع بصماته على أسلوبك .

قالت في عصبية :

***** ٥٧ *****

— لست أتأثر بأحد .. غادر حجرتي من فضلك ،
أو أغادرها أنا .

تلاشت ابتسامته ، وهو يقول في لهجة جادة :
— معذرة .. لم أكن أظن أنني أضايقتك إلى هذا
الحد .. لقد كنت أحتاج إلى من أتحدث إليه حقاً ،
بعد غياب شهرين كاملين عن (مصر) ، خاصة
إذا كان الحديث مع شخص يمكنه أن يمنحني هذا
الشعور السريع بالألفة مثلك ، ولكنني لن أضايقتك أكثر .
واستدار ليغادر الحجرة ، ثم توقف فجأة ، والتفت
إليها ، قائلاً في لهجة تتعارض مع ملامحه الجادة :

— أنت واثقة من أن ضميرك لن يؤنبك ،
لرفضك دعوة إنسان وحيد بائس ؟

كادت تضحك لأسلوبه الطريف ، إلا أنها تماثلت
نفسها ، ورسمت على وجهها الضيق والغضب ، وهي
تتجه نحو باب حجرتها في حدة ، وكأنها ستغادرها ،
وتركها له ، فعاد يستوقفها ، قائلاً :

— مهلاً .. سأرحل أنا ، وأتركك لعذاب الضمير .

قال ذلك وهو يضع كفه على قلبه ، على نحو
مسرحي ، ثم غادر الحجرة ، وأغلق بابها خلفه ،
فأطلقت هي من أعماق صدرها ضحكة صافية ، لم تكذب
تتلاشي حتى فتح هو الباب ، وأطل برأسه منه ، وهو
يقول في مرح :

— لقد ضحكت .. إذن فلست غاضبة مني ..
إنني سعيد لقبولك دعوتي ، وأشكر لك معروفك ،
وسأحضر في الثامنة ؛ لاصطحابك .

حاولت أن تعترض مرة أخرى ، إلا أنه قاطعها
بأسلوبه المسرحي الهزلي ، قائلاً :

— شكراً لله ؛ لأنك تمتلكين قلباً رحيماً ، عطوفاً
يرقّ على البؤساء من أمثالي ..

وأغلق الباب في سرعة ، قبل أن يسمح لها
بالاعتراض . وغادر المنزل مهرولاً ..

ولكنه لم يغادره تماماً ..

لقد ترك جزءاً من نفسه داخله ..
في نفسها ..

* * *

* * * * * ٥٦ * * * * *

* * * * * ٥٨ * * * * *

توقفت سيارة (كمال) أمام أحد المطاعم الفاخرة .
وهبط هو منها ، ليدور حول مقدمتها . ويمد يده إلى
(صفاء) ، التي تجلس في المقعد المجاور ، إلا أن
(صفاء) ظلت جامدة في مكانها ، تتطلع إلى اليد
الممدودة في خوف وتردد ، فهي لم تدر حتى الآن
كيف أمكنه إقناعها بدعوته . بهذه السرعة والبساطة .
وإن كان من المؤكد أنها لم تكن لتقبل تلك الدعوة أبداً .
أولا موافقة (أمينة) هانم عليها ، وتشجيعها لها .
لمرافقة (كمال) ، والترويح عن نفسها بعض الوقت ..
إنها أول مرة في حياتها ، تلبى فيها دعوة شاب .
لقضاء أمسية في مكان عام ، وهناك شيء ما في أعماقها
يؤنبها على قبولها الدعوة ، ربما كان الخوف من مرافقة
شاب لم تتعرفه جيداً ، أو أسلوب تربيتها ، الذي جعلها
تشعر أن هذه الدعوات خارجة عن التقاليد ، أو
الحجل من قلة خبرتها ، في ارتياد مثل تلك الأماكن
الفاخرة .. أو كل هذه العوامل مجتمعة ..

ولما طال ترددها ، انحنى (كمال) يتطلع إليها
بوجه باسم ، لا يحمل أدنى لمحة من لمحات الضيق ، وهو
يقول في مرح وودد :

- من الطبيعي أن أظل أمد يدي إليك طويلاً ،
فمن حق الأميرات الفاتنات أن يدفعن المعجبين بهن
من أمثالى إلى الانتظار ، لساعات طوال . ولكنى
لست أجد مبرراً لكل هذا القلق والخوف في ملامحك ،
من أجل وجبة عشاء بسيطة .

خشيت (صفاء) أن يظن أن ترددها عائد إلى
كونها ريفية عديمة الخبرة ، وأشفقت على نفسها من
نظرة ساخرة في عينيه اللتين جعلتاها ترقص طرباً هذا
الصباح . حينما حملتا نظرة الإعجاب واللهفة . فمدت
يدها إليه ، وتركته يعاونها على مغادرة السيارة ، ثم تأبطت
ذراعه ، وسارت إلى جواره ، إلى داخل المطعم ،
وهي ترتجف من فرط الرهبة والانفعال . خاصة حينما
وقعت عينها على فخامة المكان ، الذي بدا بقاعته
الفسيحة ، ورونقه الأخاذ ، كعرض لتحف فنية عالية

الجودة والنوق ، وأدركت هي أن روّاد مثل هذا المكان ، هم بالضرورة من الأثرياء ، أو على القوم ، ولقد تضاعف ارتباكها ، حينما قادهما (المتروودوتيل) إلى مائدة خاصة ، وقدّم لها قائمة الطعام ، وسمعت (كمال) يسألها في هدوء :

— ماذا تطلبين ؟

أمسكت القائمة بأصابع مرتجفة ، وهي تقرأ الكلمات غير المفهومة ، التي تراصت على نحو أنيق ، قبل أن تغمغم في خجل وارتباك :

— لست أدري .. اطلب أنت ما تشاء .

أعاد (كمال) القائمة إلى (المتروودوتيل) ، وهو يملأ عليه ما يطلبه للعشاء ، ولم يكد هذا الأخير ينصرف حتى استند (كمال) بمرفقيه إلى المائدة ، وأسند ذقنه على راحته ، وراح يتطلع إليها في تمعّن ، وعلى نحو جعلها تخفض عينيها في حياء ، فسألها في همس :

— ما الذى يربكك ؟

غمغمت دون أن ترفع عينيها إليه :

— لم يسبق لى مرافقة أحد إلى مثل هذه الأماكن . ابتسم ، قائلاً :

— إنه مجرد مطعم ، وليس ملهى ليليّاً . ودفع ذقنها بأنامله في رقة ، ليرفع وجهها إليه ، مستطرداً :

— أتعلمين أن هذا ما يجذبني إليك ؟ .. البراءة .. تلك الصفة النادرة في عصرنا .. إنك تمتلكين عينين جميلتين ، وأجمل ما فيهما صفاؤهما وملائكتهما ، التي تبدو واضحة من النظرة الأولى .

ابتسمت ، مغمغمة في خجل :

— لقد قالت لى (أمينة) هانم شيئاً مشابهاً من قبل . كمال :

— المرء لا يحتاج إلى مجهود كبير ؛ ليدرك ذلك ، ولا ليقع في غرام عينيك .

عادت الدماء الحارة تتصاعد إلى وجنتيها ، وهي تستمع إليه في حياء ، وخيّل إليها أنه من الضروري أن تقول شيئاً ما ، فغمغمت بعد لحظة من الصمت ،

وهي تحاول التغلب على خجلها ، ورفع وجهها إليه :
— هل اعتدت أن تتحدث مع الفتيات بهذه
الجرأة ؟

ضحك قائلاً :

— لست ممن يكتمون مشاعرهم على أية حال ،
وحتى لو كنت كذلك لكان وجهك المشرق كافياً لحل
عقدة لساني ، فمن المستحيل أن يلزم الإنسان الصمت ،
إزاء هذا الجمال النادر .

عادت تخفض عينيها في حياء ، وهي تغغم :

— هل تسخر مني ؟

هتف :

— لماذا ؟ .. ألم يقل لك أحد أنك جميلة من قبل ؟
أجابته في براءة :

— كلاً .. إنك أول من يفعل .

ابتسم في خبث ، وهو يقول :

— قبل (رشدي) ؟

حدقت في وجهه بدهشة ، وأرتج عليها ، فلم

***** ٦٤ *****

تستطع التفوه بحرف واحد ، وأنقذها حضور النادل ،
وصفقه الطعام أمامهما ، وبدا وكأن (كمال) لم يكن
ينتظر إجابتها ، فقد أقبل على تناول الطعام في هدوء
وبساطة ، وهو يقول :

— هيّا .. تناول الطعام .

بدأت تناول طعامها بالفعل ، ثم توقفت بغتة ،
لتسأله :

— لماذا ألقيت هذا السؤال ؟

سألها في هدوء :

— أي سؤال ؟

تلعثمت ، وهي تقول في حياء :

— سؤالك عن (رشدي) وعني .. أعني ..

خيّل إليها أن ابتسامته تحمل بعض السخرية ، وهو
يقول :

— آه .. كنت أتساءل عما إذا كان (رشدي) قد

عبّر عن إعجابه بك .. إنه مجرد سؤال عابر .

قالت في غضب :

***** ٦٥ *****

(ه - نداء قلبي - زهور)

— ينبغي أن تعلم أنه لا يربطني بالأستاذ (رشدی)
سوى صلة العمل ، وهو لم يحاول قط أن يتطرق إلى
أحاديث أخرى ، أو ..

قاطعها ، وقد اتسعت ابتسامته :

— لست أحتاج إلى توضيح ، فأنا أعرف
(رشدی) .. إنه لا يعترف بالعواطف والمشاغرة ،
ولا يفهم أمور العبث أو اللهو ، فعمله هو عشقه
الوحيد ، وهو لا يعرف سواه ، ثم إنه يبدو دوماً أشبه
بوتر مشدود ، عنيف وحاد المزاج ، تنعكس حدته
وتوتره على كل من حوله ، ثم إنه غبي أيضاً .

قالت في استنكار :

— كيف يمكنك أن تصفه بالغباء ؟

أجابها في هدوء :

— أليس من الغباء أن تكون في مكتبي زهرة جميلة
مثلك ، ثم لا أشعر بوجودها ، على الرغم من أن
شذاها يملأ قلوب الجميع ؟
نهرته في لهجة غاضبة :

— أنت مخطئ لو ظننت أنك سترضيني بهذا
الأسلوب ، فلا يصح أن تدّعم ابن خالك هكذا .

أطلق ضحكة قصيرة ، وهو يقول :

— رويدك .. الأمر لا يعدو كونه مزاحاً .

وصمت لحظة ، ثم استطرد في مرح :

— ولكنك تزدادين جمالا حينما تغضبين ، ثم إنك
تخلصين لرئيسك في العمل ، على الرغم من كل مايكبدك
إياه من متاعب .

أزال أسلوبه الرقيق توترها ، وأعاد إليها هدوءها ،
فراحت تقول لنفسها :

— قد يكون هذا الشاب مخادعاً ، يجيد التلاعب
بالألفاظ ، إلا أن المرء لا يملك سوى الإعجاب به ،
والاستماع إليه طيلة الوقت ، فبالإضافة إلى وسامته ،
يمتلك أسلوباً ساحراً ، يستحوذ على مجالسه ، على الرغم
من صعوبة التفرقة ما بين جدّه وهزله .

أفاقت من شرودها على صوته وهو يقول في مَرَح :

— فيم تفكرين ؟

هزت رأسها نفيًا ، مغممة :

- لا شيء .

كمال :

- هيا نتناول طعامنا إذن ، قبل أن يبرد .

تناولت أدوات المائدة ، وهي تغغم في شرود :

- نعم .. هيا .

استرخت (صفاء) على المقعد المجاور لـ (كمال)

داخل سيارته ، وهو ينطلق بها عائداً إلى فيلا (رشدى)

وغمرتها سعادة داخلية ، أنستها كل الأحزان التي عاشتها

بعد وفاة والدها ، وهي تواجه وحدها مرارة اليتيم ،

وقسوة الفراق ، وأنستها معاناتها في العمل مع (رشدى)

الحاد المزاج الذى يستهين دوماً بمشاعر من حوله ،

ويعاملهم معاملة الطغاة ..

كانت السهرة رائعة حقاً ، أضفى (كمال) - على

كل شيء فيها - البهجة والمرح ، حتى خيّل إليها أنها لم

تأكل قط طعاماً أشهى ، ولم تمض أمسية أجمل ،

***** ٦٨ *****

وامتلأت نفسها بالنشوة ، حتى أنها لم تشعر بـ (كمال)

وهو يوقف سيارته في بقعة هادئة ، على كورنيش

النيل ، كما لم تشعر به ، وهو يطيل النظر إليها على

ضوء القمر ، حتى أفاقت من شرودها على صوته

الهامس ، وهو يقول :

- شكراً .

اعتدلت في مجلسها ، وهي تسأله في دهشة :

- على ماذا ؟

أجابها في همس :

- على أجمل أمسية قضيتها في حياتي .

أجابته في هدوء ، ودون أن يحمل صوتها رنة

احتجاج :

- لماذا أوقفت سيارتك هنا ؟

كمال :

- أكره أن تنتهى أمسيتنا بسرعة ، وقلبي

لا يطاوعنى على حرمان نفسى من رقتك وجمالك .

غمغمت في نشوة :

***** ٦٩ *****

— أنا أيضاً أكره أن تمضى الأمسية بهذه السرعة .

تهللت أساريره ، وهو يهتف في فرح :

— أحقاً يا (صفاء) ؟ .. أينخامرك الشعور نفسه ؟

كانت لهفته حقيقية صادقة هذه المرة ، لا تحمل

أدنى أثر للعبث والسخرية ، وكانت عيناه تنطقان بحرارة

تكاد تلفح وجهها ، على الرغم من نسيم الليل والنيل ،

إلا أنها عجزت تماماً عن إجابة تساؤله ، وعن تحديد

موقفها إزاء تلك المشاعر ، التي تملأ نفسها في هدوء ..

لقد أضنى (كمال) ، على كل ما حولها ، سحراً

حقيقياً ، منذ الوهلة الأولى ، ولكن أيكفى هذا لتعلن

أنه الرجل الذي ينشده قلبها ؟ ..

إن أحاسيسها مضطربة ، مشوشة ، وقلبها يرفض

منحها جواباً حاسماً ، فتطلعت إلى الطريق الممتد أمامها ،

وهي تقول :

— (كمال) .. أعدنى إلى البيت من فضلك .

أمسك كفها الصغيرة في رفق ، وأطلت من عينيه

نظرة رجاء ، وهو يقول :

— ولكننى لم أسمع جوابك بعد ولم أقل كل ما لدى .

ارتجفت كفها بين أصابعه ، فسحبها في رقة ،

وهي تقول :

— أرجوك يا (كمال) ، دعنا ننتهى من سهرتنا

أصدقاء ، كما بدأناها .

كمال :

— ولكنك تعلمين أن أحاسيسى نخوك تتجاوز

الصداقة ، كما أنك ..

قاطعته في حزم :

— أرجوك يا (كمال) .. ليس من اللائق أن

أناخر أكثر من ذلك .. أعدنى إلى المنزل .

تحوّل عنها ، وهو يقول في يأس :

— لا بأس .. ولكننى سألتقى بك غداً .

لاذت بالصمت ، وهي تحاول إخفاء ارتجافتها ،

وضربات قلبها المتلاحقة ، وانطلق هو عائداً بها إلى المنزل ..

منزل (رشدى) ..

كانت الأيام الثلاثة التالية بمثابة حلم جميل لـ (صفاء) ، فلقد فتح أمامها (كمال) آفاقاً جديدة من المرح والسعادة ، وهو يصحبها - في كل يوم - إلى عدة أماكن مختلفة ، بسيطة ، تنطلق فيها على ميجيتها ، كأنها قد عادت إلى طفولتها ، فتجرب وتفرح وسط الحداثق والبساتين ، وإلى أماكن أخرى راقية ، تثير المشاعر ، وتحرك الأحاسيس .

ولقد سقطت جميع تحفظاتها تجاه (كمال) ، وصارت وكأنها تعرفه منذ سنوات ، فتتقرب حضوره بفارغ الصبر ، ليصحبها في نزهة جديدة ، تعيش معه فيها ساعات مرح ، وإقبال على الحياة ، لم تعرفها من قبل ، وأدهشها أنها في تلك الأيام الثلاثة قد تبدلت كثيراً ، فلم تعد تشعر بالخرج من نظراته ، ولا همساته المفعمة بالإطراء والغزل ، بل لعلها أصبحت تشاق إليها ، وتنتظرها ..

وفي كل مرة كانت تبتسم فيها ، وهي تراوغه ، وتفر من أسئلته وتلميحاته ، كانت تشعر أنها قد أتقنت فنون الدلال ، التي تملأ غريزة كل أنثى ، إلا أن شيئاً ما في أعماقها كان يعارض ذلك ، ويؤكد لها أن مراوغتها ليست دلالة ، وإنما هي عجز عن تقديم تفسير صادق لمشاعرها نحو (كمال) . على الرغم من سعادتها للقياء ..

صحيح أنها لم تحب من قبل ، إلا أنها لم تشعر بكل هذه البهجة والسعادة ، التي تشعر بها مع (كمال) ، ولكن أهذا هو الحب ؟

أهو مجرد شعور بالبهجة والسعادة ، أم شعور بالذات مع من نحب ؟ ..

إن (كمال) لم يعلن لها حبه صراحة حتى الآن ، ولكن كل تصرفاته معها ، ونظراته إليها ، وحتى شعورها الخاص ، كل ذلك يؤكد أنه يحبها ، ولكن شعورها نحوه ما زال - بالنسبة إليها - غامضاً ، فهو

يعجز حتى الآن عن تحديد ذلك الخط الفاصل ، ما بين
الإعجاب .. والحب ..

لهت (صفاء) ، وتعال ضحكاتها المرحية ،
وهي تعدو بين أشجار الحديقة ، و (كمال) يحاول
اللتحاق بها ، وإمساكها ، وهي تراوغه في مهارة ، حتى
ألقت نفسها فوق العشب في إرهاق ، وهي تضحك في
مرح ، وبدا لها تعبها لذيذاً ، يبعث في جسدها نشوة
وانتعاشاً وحيوية ، لم تعرفها من قبل ، وقالت
لـ (كمال) ، الذي جلس إلى جوارها :
- عليك أن تعترف أنني أكثر سرعة منك ،
لأنك قد فشلت في الإمساك بي .

هتف معترضاً :

- لقد ألقيت نفسك أرضاً ، في اللحظة التي كدت
أمسك بك فيها ، وهذا يعني استسلامك .

ضحكت ، وهي تقول :

- لست ممن يستسلمن في سهولة .

***** ٧٤ *****

داعبها ، قائلاً :

- لا بأس . سأعترف بسرعتك ورشاقتك ،
شريطة أن تعترفني بأن قلبك قد استسلم لي أخيراً .

هتفت في دلال :

- لن تصل إلى قلبي ، مادمت تعجز عن اللحاق بي .
هب واقفأ ، وهو يقول :

- فلنعد الكرة إذن ، وسأربح هذه المرة ،
مادمت قد حددت الجائزة .

ضحكت قائلة :

- كلاً .. لقد أفلتت منك فرصة الفوز ، و عليك
أن تتقبل الهزيمة بروح رياضية .

ركع إلى جوارها ، وضم قبضتيه إلى قلبه ،
هاتفاً في لهجة هزلية :

- أرجوك يا أميرتي ، امنحيني فرصة أخرى ،
فلقد عقدت كل آمالي على الفوز .

وضعت كفها فوق شفتيها ، لتمنع نفسها من
الاستغراق في الضحك ، وهي تقول :

***** ٧٥ *****

— (كمال) ! .. ماذا تفعل ؟ .. المارة
يتطلعون إلينا .

ظل جاثياً أمامها ، وهو يقول :

— كلاً .. سأظل هكذا ، حتى يعلم الجميع أى
ظلم توقعينه على رعاياك ، حينما ترفضين منحهم فرصة
أخرى للفوز .

عاد إليها خجلها ، وتضرجت وجنتاها بحمرة
الحياء ، وهى تقول :

— انهض ، ودعنا نتصرف على نحو جاد ، فأنا
أشعر بخرج بالغ .

أبى أن يتحرك من مكانه ، وهو يقول :

— ليس قبل أن تعترفى بحبك لى ، وبأنك تدوين
عشقا وهياماً بى .

قالت فى غضب ، وقد تضاعف ارتباكها :

— سأتركك وأرحل .

نهض قائلاً فى مرح :

— لا بأس .. سأعلن هزيمتى مؤقتاً ، ولكننى لن
أستسلم حتى يعلن قلبك العنيد استسلامه لى .

قالت ، ووجهها مازال يتضرج بحمرة الخجل :

— هياً نبتعد عن هنا .

سارا فى صمت إلى قفص يحيط ببعض الغزلان ،
التي تمرح فوق العشب . فتطلعت إليها (صفاء) فى
سعادة . جعلت (كمال) يسألها فى اهتمام :

— هل تحبين الغزلان ؟

أجابته . وهى تتطلع إلى غزال صغير ، راح
يرمقها بعينه الواسعتين :

— لقد جئت مع أبى ذات مرة إلى هنا ، وكنت
بعد طفلة صغيرة . تغادر (المنصورة) لأول مرة ،
ولقد بهرنى المكان — حينذاك — بعالمه وحيواناته ، ولم
يستوقفنى سوى غزال صغير كهذا ، رحنا نتبادل معاً
نظرات البراءة والألفة والمودة . وكأننا صديقان
قديمان .. انظر كم تبدوا عيناها صافيتين وديعتين ، ألا
تجبرانك على الوقوع فى حبه ؟

ابتسم ، قائلاً :

— ألهذا طلبت الحضور إلى حديقة الحيوان ؟

أشارت إلى الغزال الصغير ، وهي تقول :

— لن يمكنك أن تتصور كم أحب هذا الحيوان

الصغير .

تطلع إلى وجهها في حنان ، قائلاً :

— ما أرق قلبك .. لا ريب أن ما يربطك به

هو التشابه الكبير بينكما ، فعيونكما تتشابه وكلاكما

يتمتع بالبرقة والبراءة ، وإن كنت تبدين شديدة القسوة

في بعض الأحيان .

هتفت في دهشة :

— أنا ؟ !

أجابها في تأثر مصطنع :

— نعم .. فحتى الحيوانات تتعامل فيما بينها بالحب ..

انظري كيف يغازل ذلك الغزال أنثاه ، وكيف تتجاوب

هي معه في حنان ، ثم انظري إلى نفسك ، راجعي

قسوتك على من يحبونك .

ارتسمت على شفيتها ابتسامة باهتة ، وهي تغغم :

— ألن تكف عن هذا المزاح أبداً ؟

— ومن قال إنني أمزح ؟ . ألسنت تقسين على قلبي

الحب لك بالفعل ؟

— أكاد أصدقك أحياناً .

— لبتك تفعلين هذه المرة . فلم أكن جاداً — طيلة

عمرى — كما أنا الآن .

تطلعت إليه في حيرة ، وتلاشت ابتسامتها ، وشرد

بصرها . وخيّل إليها أنها تلمح طيف (رشدي) ،

وشعرت أنها تعقد في أعماقها مقارنة بينه وبين (كمال)

الأول بغلظته وخشونته ، والثاني بجاذبيته ، ومرحه

ورقته وخنانه . وبدت لها الهوة ساحقة بين الاثنين ،

ولكن العجيب أنها في تلك اللحظة ، تمنّت لو أنها تسمع

تلك الكلمات من بين شفتي (رشدي) ، لا من قلب

(كمال) ..

وأيقظها (كمال) من شرودها ، وهو يقول

هامساً :

— ليتنى أكون محور شروك هذا .

تجاهلت عبارته عمداً ، وهى تشير إلى مجموعة من الشباب والفتيات الأجانب ، الذين تراقصوا على نغمات صادرة من مذياع صغير ، وهى تقول فى مرح :

— إن اللحن رائع ، ورقصاتهم غاية فى الرشاقة .

رمقها بنظرة معاتبة ، وهو يقول :

— لقد كنت محقاً ، حينما وصفتك بالقسوة إذن ،

فها أنتدى تهريين من عبارتى !

ضحكت ، وهى تقول مراوغة :

— إننى أحدثك عن الرقص والأنغام .

— أتخبين مشاركتهم ؟

— ليتنى أستطيع .

— وماذا يمنعك ؟

جذبها من يدها نحوهم ، فهتفت ، وهى تحاول

التملص منه :

— إلى أين ؟ .. لقد كنت أمزح .

أجابها فى هدوء :

***** ٨٠ *****

— أما أنا فلا .

شعرت بالخرج والارتباك ، حينما وجدت نفسها معه وسط حلقة الرقص ، وأدهشتها لغة (كمال) وهو يتحدث إليهم فى طلاقة ، اكتسبها من كثرة العيش خارج (مصر) ، ثم جذبها فجأة أحد الشبان ، وراح يراقصها فى براعة ، فوق البساط الأخضر ، ثم لم تلبث حلقة الرقص أن اتسعت ، وراحت (صفاء) تنقل من شاب إلى آخر فى خفة فراشة رقيقة ، ولقد أدهشها هى ، قبل أن يُدهش الآخرين ، أنها أجادت الرقص فى رشاقة أثارت إعجاب الجميع ، حتى وجدت نفسها فجأة بين يدي (كمال) ، الذى راح يراقصها ، ويدور بها فى خفة ورشاقة ، حتى تلاشى شعورها بالخرج ، وملأت الموسيقى كيائها كله ، فأنستها الزمان والمكان ، ولم تعد تذكر سوى لحظات مرحها ، وسوى (كمال) ..

(كمال) وحده ..

***** ٨١ *****

(٦ - نداء قلبى - زهور)

التفتت (صفاء) إلى (كمال) ، حينما أوقف سيارته
أمام منزل (رشدى) ، وسألته :

— ألن تصحبني لمقابلة (أمينة) هانم ؟

كمال :

— كنت أودّ ذلك ، ولكن لدى عمل عاجل ،
يحتاج أن أنجزه فوراً .

هبطت من السيارة ، قائلة :

— وداعاً إذن .

أمسك يدها ، وطبع فوقها قبلة حارة ، وهو
يقول :

— بل قولى إلى اللقاء ، فسأمر لاصطحابك إلى

الملاهى مساء الغد .

ابتسمت قائلة :

— إلى اللقاء .

انطلق بسيارته ، وهو يلوح لها ، قائلاً :

***** ٨٢ *****

— قبلى خالتى بالنيابة عنى ، وقبولى لها لى
سأحضر قريباً لتناول الحاوى التى كانت تعدها لى دوماً .
لوّحت بكفها ، وهى تقول فى مرح :
— سأشاركها إعدادها .

ثم انطلقت تعدو كطفلة صغيرة إلى الثيلا ، وتقرع
جرسها على نحو طفولى ، حتى فتح لها عم (درويش)
الباب ، فسألته فى مرح ، وابتسامة مشرقة :

— مساء الخير يا عم (درويش) .. أين (أمينة)
هانم ؟

أجابها فى هدوء :

— مساء الخير يا آنسة (صفاء) .. إنها تجلس فى
الشرقة كالمعتاد .

أسرعت (صفاء) إلى الشرقة ، وهى تقفز فى
مرح ، واحتضنت (أمينة) هانم فى حرارة ، وراحت
تشبعها بالقبلات ، وقد شعرت فى تلك اللحظة أنها أمها

الحقيقية ، وهى تقول فى سعادة :

— مساء الخير يا أمى الحبيبة .

***** ٨٣ *****

ابتسمت الأم في طيبة وحنان . وهي تقول :

— مساء الخير يا (صفاء) .. لقد ازددت إشراقاً وسعادة . يبدو أنك تقضين وقتاً طيباً مع (كمال) .

أجابتها (صفاء) ، وهي تحتضنها في سعادة :

— إنني أشعر وكأنما عدت طفلة صغيرة يا أماه ، فلقد ذهبنا إلى حديقة الحيوان ، ورحنا نجري ونلهو ، ونرقص .

هتفت الأم في دهشة :

— ترقصان ؟!

أجابتها (صفاء) في مرح :

— نعم .. لقد التقينا ببعض الشبان الأجانب ، وشاركناهم رقصاتهم هكذا .

وأمسكت بيد الأم ، ووضعت يدها الأخرى خلف ظهرها . وراحت تدور بها في الشرفة . فهتفت الأم ضاحكة :

— كفى أيتها الصغيرة .. لست شابة مثلك .

ضحكت (صفاء) في مرح . وهي تقول :

***** ٨٤ *****

— من قال ذلك ؟ .. إن خطواتك الرشيقة أكثر شباباً مني .

انعكس مرح (صفاء) على الأم وهي تقول ضاحكة :

— يبدو أن ذلك الشيطان (كمال) قد بدلك كثيراً

خلال هذه الأيام القليلة . فقد حولك من فتاة هادئة . إلى أخرى مفعمة بالمرح والحيوية .

ضحكت (صفاء) قائلة :

— أليس هذا أفضل ؟

ابتسمت الأم قائلة :

— بالتأكيد .. سيعرف منزلنا بعض البهجة على

يديك على الأقل .

هتفت (صفاء) في سعادة :

— سأعمل على ألا تفارقه البهجة أبداً . وسأحرص

على ألا تفارق البسمة شفيتك أبداً يا أماه .

ثم راحت تدور بالأم في الشرفة . وتدندن بذلك

للحن المرح الذي راقصت (كمال) على نغماته في الحديقة ..

وفجأة تجمّدت (صفاء) . ثم تخلّت عن الأم في

***** ٨٥ *****

هلع ، وتراجعت ووجهها يحمل كل الخوف
والاضطراب ، على نحو أدهش الأم ، فتلفتت خلفها ،
وفوجئت بـ (رشدى) يقف عند باب الشرفة ، ويرمق
(صفاء) بعينين ناريتين صارمتين ، والمسكينة ترتجف
كعصفور صغير بللته الأمطار في يوم قارص البرودة ..
وشعرت الأم بالدهشة والجزع ، لما أصاب
(صفاء) ، ولتأثير ابنها عليها . فابتسمت محاولة
التخفيف من الموقف . قائلة :

— آه .. نسيت أن أخبرك يا (صفاء) .. لقد عاد
(رشدى) من السفر . وسألني عنك . فأخبرته أنك ..
قاطعها (رشدى) بلهجته الحادة . وقال وعيناه
تخاصران (صفاء) في صرامة :

— أى عبث هذا . الذى يحدث في منزلنا ؟ ..
أين كنت يا آنسة ؟

عجزت (صفاء) عن النطق . وهى تحدق فيه
في هلع . على حين قالت الأم فى هدوء :

— قلت لك إنها خرجت مع (كمال) ، ابن

خالتك ، فى نزهة قصيرة و

قاطعها بلهجة جافة :

— أرجوك يا أماء .. إننى أوجه سؤالاً إليها .

نمغمت (صفاء) فى صوت مرتجف :

— لقد سألنى الأستاذ (كمال) مرافقته فى نزهته ،

ولقد وافقت (أمينة) هانم و ..

عقد كفيه خلف ظهره . وهو يقاطعها فى صرامة
وانفعال :

— أنسيت أنك تعملين لحسابى أنا . وأنه يلزمك
تصريح خاص منى . للتغيب عن المكان كل هذا
الوقت ؟ أم أنك قد انتهزت فرصة غيابي . لترحى
وتعبنى مع ؟ ..

قاطعته أمه فى غضب :

— الأمر لا يستحق كل هذا يا (رشدى) .

أثارت كلماته غضب (صفاء) أيضاً . وبعثت فى
أعماقها رغبة قوية فى تحدّيه ، تغلبت على كل عوامل
خوفها منه ، فهتفت فى انفعال :

— أولاً : لقد علمت من (أمينة) هانم أنه
يمكننى اعتبار نفسى فى إجازة . خلال أيام سفرك إلى
الخارج . والمرء حرّ فى أن يفعل ما يحلو له . خلال
إجازته . طالما ليس مقيداً بعمل . وثانياً : لست بفتاة
عابثة أو مستهترّة . ولن أسمح لأى مخلوق بأن يصفنى
بهذه الصفات المهينة . الجارحة لشرفى وكرامتى .
وثالثاً : لا يحق لك أن تحاسبنى إلا على عملى . فلست
جارية لك . وإنما أنا مجرد موظفة . وعلى أتم استعداد
للاستقالة من الوظيفة . وترك منزلك فوراً . فأنا أفضل
الحرية ..

اختنقت الكلمات فى حلقها ، مع عبراتها المنسالة
فى غزارة . فاندفعت تغادر الشرفة . وتصعد إلى
حجرتها باكية . فهتفت الأم فى لوم وعتاب :
— ألن تتخلّى عن تلك الطباع السيئة ؟ .. ما الذى
فعلته تلك اليتيمة المسكينة . لتستحق منك كل هذا ؟
أجابها . والغضب ما زال يملأ ملامحه :
— ينبغى أن تعلم أننى لا أمنحها ذلك الراتب الكبير

***** ٨٨ *****

عيباً . ولقد أخبرتها منذ البداية أن عملها لدى مزدوج .
فإذا لم أكن بحاجة إليها فى مكتبى . فهى ملتزمة بالبقاء
إلى جوارك . ورعايتك فى المنزل .
صاحت به أمه فى حدة :

— إذن فأنت تريد كسكرتيرة وخادمة فى آن
واحداً ! .. بل كجارية لا تملك من أمرها شيئاً . فحتى
الخادمة تملك حق الترويح عن نفسها بعض الوقت ..
ثم تدعى أنك ترعاها . وتساعدها . وفاء لأبيها
الراحل ؟ ! .. أية رعاية ومساعدة تلك ؟ !

زفر (رشدى) فى ضيق . وهو يقول :

— أرجوك يا أماه .. إتنى .

قاطعته فى غضب :

— كلاً .. لن أصمت .. أتظن أنك ستخيفنى أنا

الأخرى بتجهّمك وصوتك المرتفع ؟ .. اسمع
يا (رشدى) .. إتنى أعدّ هذه الفتاة بمثابة ابنة لى .
ولن أسمح لك بمعاملتها معاملة الأرقاء .

قال فى عصبية :

***** ٨٩ *****

- ولكنك تسمحين لها فقط بالخروج مع شاب
مستهتر مثل (كمال) .. أليس كذلك ؟

أجابته في صوت قوى :

- قد يكون (كمال) مستهتراً كما تقول ، ولكنه
ليس كذلك بالنسبة لـ (صفاء) ، فهو يحترمها
ويقدرها ، وكل ما هنالك أنه يمنحها بعض الوقت ،
وبضع ساعات من المرح واللهو البريء . هي أحوج
ما تكون إليه ، بعد أن أثقلت الأحزان كاهلها . وحملتها
مرارة اليتيم فوق ما تحتمله سنوات عمرها الشابة . وهو
شيء لم تحاول أنت أن تقدمه إليها منذ عملت معك ..
بل على العكس .. إنك تزيد أعباءها ، بما يفوق طاقتها ،
ولا تلتق منك ، بعد كل هذا ، سوى الغطرسة والتعالى
والحديث إليها كما لو كنت قد اشتريتها .

أجابها (رشدي) . وهو مقطب الجبين في عصبية :
- أكان المطلوب مني أن أترك عملي ومكتبي ،
وأفترغ لتدليلها ودعوتها إلى النزاهات ، حتى أكون
قد قمت بواجب رعايتها على أكمل وجه ؟

***** ٩٠ *****

الأم :

- كلاً ، ولكن لا ينبغي أن تعارض في قيسام
غيرك بتلك المهمة على الأقل .

لوح بكفه ، قائلاً في عصبية :

- أتقصدين (كمال) ؟ .. إنني لا أثق به .
- إنه لن يقضى وقتاً طويلاً في (مصر) ،
ولا تنسى أنه ابن خالتك . فلا داعي لأن تعامله بكل
هذا الجفاء .

- إننا لن نلتق على أية حال . فسأعود إلى
(باريس) غداً .. في الفجر .

هتفت في دهشة :

- بهذه السرعة ؟

رشدي :

- لدى بعض ارتباطات العمل هناك . لقد عدت
فقط لاستكمال بعض الأوراق والمستندات الهامة .

وصمت لحظة . قبل أن يستطرد :

- ثم إنني أحتاج إلى وجود سكرتيري الخاصة معي .

***** ٩١ *****

— هل تعنى .. ؟

— نعم .. سأصطحب (صفاء) معى .

— ولكننى أظنها تجمع حاجياتها الآن . لترك
العمل والمنزل .

تطلع (رشدى) إلى أمه فى دهشة . وهو يهتف
فى استنكار :

— ترحل ؟ ! .. ما هذه التفاهات ؟ .. أتظن أنه
يتعين على أن أعتذر وأتوسل . حتى تبقى ؟ .. فلترحل
إذن إن شاءت ، يمكننى أن أحضر سكرتيرة أخرى .
تقوم بالعمل على نحو أفضل منها ألف مرة .

حدّجته أمه بنظرة ثاقبة . وهى تقول فى حزم :

— أنت واثق من أنك ستجد من يحل محلها ؟
تقلصت عضلات وجهه فى عصبية . وهو يقول :

— وما المطلوب منى أن أفعله ؟

— أن تعتذر لها ، وتسترضيها .

— لم أعتد الاعتذار لأحد .. لقد حاولت أن أقدم
لها بعض المساعدة . إكراماً لأبيها الراحل . وكان عليها

***** ٩٢ *****

أن تقدّر ذلك . ولكننى لن أتنازل عن طبيعتى ،
لاستر ضاء فتاة حمقاء .

رسم الحزن خطوطه العميقة على وجه الأم ، وهى
تستدير مغادرة الشرفة ، قائلة :

— حسناً يا بنى .. افعل ما يمليه عليك ضميرك .
أخذ ينفث دخان سيجارته فى عصبية . ولمسح

(صفاء) وهى تهبط فى درجات السلم . حاملة حقيبتها
فى طريقها إلى باب الفيلا . ثم لم تلبث أن تركت حقيبتها
أمام الباب . واتجهت نحو حجرة الأم . فغابت داخلها
بضع لحظات . ثم غادرتها بعينين تملؤهما الدموع .
وعادت تلتقط حقيبتها . وتتجه نحو الباب ..

وفجأة ارتفع صوته الأمر . وهو يقول فى حزم :

— انتظرى .

وتلاشى حزمه لحظة ، وهو يكرّر :

— قلت لك انتظرى ..

ولكنها لم تنتظر ..

***** ٩٣ *****

لم تستجب (صفاء) هذه المرة ..

لم يوقفها صوته الأمر ، بل واصلت طريقها نحو الباب ، حتى فوجئت به يندفع نحوها ، ويقبض على معصمها في قوة آلمتها ، وهو يقول في صرامة :

- إلى أين ؟

لم تلتفت إليه ، وهي تقول في حدة :

- سأعود إلى (المنصورة) .

أجابها في صرامة :

- بل ستبقين تحت رعايتي .

تحوّلت إليه ، وأطلّ التحدّى من عينها ، وهي تقول :

- بل سأذهب ، ولن تفرض عليّ إرادتك هذه

المرة .. ينبغي أن تعلم أنني لن أسمح لك بمنح نفسك الحق في مراجعة تصرفاتي وأفعالي ، كما لن أسمح لك بتوجيه الإهانة تلو الأخرى لي ، بحجة رعايتي ، والوفاء لأبي الراحل .

***** ٩٤ *****

هدأت حدّته بعض الشيء ، وهو يقول :

- حسناً .. إنني أعتذر .

لم تصدّق أذنيها ، فمن كثرة ما عهده من صلفه وغروره ، وحادّة طباعة ، لم تتصور أبداً أنه قادر على الاعتذار ، أو الإحساس بالندم ، وعلى الرغم من ذلك فإن تراجعها لم يدفعها للتخلي عن موقفها ، وهي تشبّث بحقيبتها ، قائلة :

- أترك يدي من فضلك ، فأنت تؤلمني ، ودعني

أذهب .

تخلي عن يدها ، هاتفاً في دهشة :

- لقد اعتذرت لك .. ألا يكفيك هذا ؟

أجابته في حدة :

- ليس هناك ما يدعوك إلى الاعتذار .. إنني

أعترف بفضلك عليّ ، وعلى المرحوم والدي ، وبأنه

كان ينبغي أن أكون أكثر تحملاً لطباعك وتصرفاتك

نحوي ، جزاءً لهذا الفضل ، ولكن كرامتي لم تعد

***** ٩٥ *****

تحتمل : لذا فأنا أتقدم إليك بالشكر والاعتذار ،
وأرجوك أن تسمح لي بالانصراف .

ران عليهما الصمت لحظات . ثم أشاح بوجهه
بعيداً . وعاد يلتفت إليها . وهي تمد يدها إليه
لتصافحه ، وخيّل إليها أن وجهه يحمل تعبيراً حزيناً ،
لم تلمح مثله من قبل . وأنه لم يعد ذلك اللفظ الغليظ
القلب . الذي يثير خوفها وكراهيتها . بل لقد رآته في
تلك اللحظة طفلاً بائساً ، تحمل عيناه صرخة مكتومة ،
ترجوها أن تبقى . فخفق قلبها في عنف . وهي تغغم
في صوت مرتجف :
— وداعاً .

تلاحقت ضربات قلبها في قوة . اختلطت بدهشتها
العارمة ، وهو يقول في لهجة أقرب إلى الهمس والرجاء :
— أبقى يا (صفاء) .

ماذا أصابه ؟ ..

لا ريب أنه شخص آخر ، وليس (رشدي سليمان)
الذي تعرفه ..

***** ٩٦ *****

لقد اعتذر لها منذ لحظات . ثم ها هو ذا يرجوها
أن تبقى ..

إنه شخص آخر بالتأكيد ..

وعاد (رشدي) يقول بصوته الهامس ، الذي لم
تألفه أذناها بعد :

— ستبقين .. أليس كذلك ؟

غلبها تأثرها . وهي تغغم :

— أستاذ (رشدي) .. ليس هناك ما يدعوك إلى
القلق بشأنى .. إننى سأعرف كيف أتدبر أمورى ، ثم
إنك لست مسديناً لى ، أو لوالدى بشيء ، حتى تنصّر
على استيقائى و ..

قاطعها ، قائلاً :

— ليس للأمر علاقة بدين أو فيه ، أو شعور
بالواجب ، ولكننى أحتاج إلى وجودك بالفعل .

شعرت (صفاء) بخيرة بالغة ، وهي تستمع إليه ،
وتساءلت : ما حاجته إليها ، ولديه عشرات
السكرتيرات ، الأفضل منها خبرة وثقافة وجمالاً ،

***** ٩٧ *****

وأين يمكنها أن تكون أكثر نفعاً له منها ؟ ..
أيمكن أن تكون حاجته إليها بعيدة عن مجال
العمل ؟ ..

أرجفها مجرد التفكير في هذا الاحتمال ،
واستسلمت له ، وهو يتناول حقيبتها ، ويمسك يدها في
رفق ، ليعود بها إلى الداخل ، ولكنها لم تستسلم لإرادته
هذه المرة بدافع الخوف أو الرهبة ، وإنما بسبب شعور
غامض ، سيطر على مشاعرها في تلك اللحظة ، وجعلها
تشعر أنها أيضاً بحاجة إلى وجوده معها ، وبأنها تشعر
بصعوبة بالغة في مفارقتها .

واستقبلت الأم عودتها بابتسامة حانية محبة ، وقد
أدركت غريزة أمومتها أن شيئاً ما قد تبدل في الأمر ..
شيء يجمع ما بين (صفاء) و (رشدى) ..

وجدت (صفاء) نفسها جالسة إلى جوار (رشدى)
داخل الطائرة المتجهة إلى (باريس) ، ولقد أدهشها
تبدل موقفها على هذا النحو ، بعد أن كانت تصر منذ

***** ٩٨ *****

ساعات على العودة إلى بلدها (المنصورة) ، فإذا بها
ترافق الرجل ، الذى كانت تنوى مفارقتها ، إلى
(باريس) ، وعلى الرغم من دهشتها وحيرتها ، فقد
داخلتها السعادة ، وهى تتصور نفسها في (باريس) ،
مدينة الفن والحب والجمال ، وأنها ستشاهد فيها ما كان
يبدو لها في السابق كالأحلام ، وسرت في جسدها
رعدة منتشية ، وهى تتصور انتقالها إلى العاصمة
الفرنسية ..

وأفاقت على صوت (رشدى) ، وهو يسألها في
هدوء :

— هل تريد تناول أى شيء ؟
غمغمت وهى تلمح المضيقة تقرب :
— كلاً .. شكراً لك .

وطلب لنفسه قدحاً من القهوة ، ففتحته المضيقة
الحسنة ابتسامة ساحرة ، وهى تعدّه بإحضار مطلبه
في سرعة ، وبدون أن تدري ، وجدت (صفاء) نفسها
تتطلع إليه ، محاولة معرفة تأثير تلك الابتسامة الساحرة

***** ٩٩ *****

عليه . ثم لم تلبث أن شعرت بالحجل . وبالسعادة لأنه
لم يستجب لابتسامة المضيفة . ولو على سبيل المجاملة ،
ثم فوجئت به يلتفت إليها بغتة . ويسألها :
- لماذا تحديقين في وجهي هكذا ؟

تلعثمت وهي تشيح بوجهها عنه . مغممة في
حياء :

- لا .. لا شيء .

كان قد تخلى عن ذلك الأسلوب الحنون الرقيق ،
الذي تحدث إليها به في الثيلا . واستردّ من جديد
شخصيته المتجهمّة الصارمة . وصوته القوي المميز ،
فشعرت بخنين جارف لصوته الهامس . وتمنت لو تراه
ينسلخ مرة أخرى عن شخصيته الصارمة ، ولكنه لم
ينطق بحرف واحد ، حتى أحضرت له المضيفة قدح
القهوة . فتناواه منها . وهو يسأل (صفاء) في برود :

- أتحدثين الفرنسية ؟

أجابته في هدوء :

***** ١٠٠ *****

- نعم .. لقد درست منذ المرحلة التمهيدية في
مدارس فرنسية .

تناول رشفة من قدحه . وقال دون أن يلتفت
إليها :

- هذا أفضل .. سيعاونك هذا في مهمتك في
(باريس) .

سألته في فضول :

- ما طبيعة العمل ، الذي سنقوم به هناك على
وجه التحديد ؟

- سألتني بمجموعة من رجال الأعمال . وأعرض
عليهم المستندات الخاصة بأعمال مؤسستنا . في محاولة
لإقناعهم باستيراد منتجاتنا .. إنها مهمة عسيرة ،
وتحتاج إلى الكثير من الجهد . فهناك عشرات الجهات ،
التي تنافسنا في هذا المجال . كما أن لديهم بعض الشروط
الواجب توافرها . في السلع المصدّرة إليهم : لذا أريد
منك أن تقوم بتسجيل كل ملاحظاتهم وشروطهم
بمنتهى الدقة ، فمن الضروري أن نكسب ثقتهم أولاً .

***** ١٠١ *****

— سأفعل كل ما تطلبه مني .

عاد (رشدی) يراجع أوراقه في انهماك ، على
حين عادت هي تفرق مع أحلامها السابحة في سماء
(باريس) ..

وفجأة اقتحم طيف (كمال) خيالها ..

اقتحمه بمرحه ووسامته . وشعور الألفة والسعادة
الذي يمنحه إيّاها ..

اقتحمه بلباقة . التي كشفت لها مواطن جمالها ،
من خلال عينيه الساحرتين ..

لقد نسيت تماماً موعدها معه الليلة . في غمرة
الأحداث التي أحاطت بها . منذ عودة (رشدی) ،
وحتى هذه اللحظة ..

كيف تسنى لها أن تنساه على هذا النحو ؟ ..

ما الذي سيظنه بها ، حينما يحضر لاصطحابها ،
فيجدها قد سافرت مع (رشدی) ، دون أن تترك
له ولو خطاب اعتذار رقيق ؟

لا ريب أنه سيحزن لرحيلها ، وسينقم عليها ،

***** ١٠٢ *****

فلقد كان رقيقاً معها . ولطيفاً إلى أقصى حد ، ولن
تغفر لنفسها أبداً أية آلام تسببها له ..

واكتست عيناها بنظرة حزينة . جعلت (رشدی)
يسألها في قلق :

— كنت أظن هذه الرحلة ستسعدك .

حاولت أن تطرد مسحة الحزن من عينيها ، وهي
تبسم ابتسامة باهتة ، قائلة :

— ولكنني سعيدة بالفعل .

رمقها بنظرة ثاقبة ، وهو يقول :

— كنت كذلك منذ لحظات ، أما الآن فالحزن
يطل من عينيك في وضوح . أليحق لي معرفة السبب ؟

أدهشها اهتمامه بها على هذا النحو . وأدهشها أنه
لم يتشاغل عنها حقاً . كما كانت تظن . وإنما كان
يراقبها من طرف خفي ، ويتابع ما يرتسم على وجهها
من انفعالات . ولقد عاد يسألها في إصرار :

— ما سبب حزنك المفاجئ هذا ؟

***** ١٠٢ *****

ذلك الانطباع ، الذي ارتسم على وجه (رشدى) ،
والذى يجمع ما بين الدهشة والاستنكار ، والغضب ،
جعلها تشعر بالندم ، وهو يهتف :

- (كمال) ؟ !

نعمت في خفوت :

- كان من المفروض أن ألتقى به الليلة ، ولا شك
أن تجاهلى لموعده سيؤلمه و ..

قاطعها (رشدى) في حدة :

- إننا مقبلون على عمل بالغ الأهمية ، فلا تشغلى
ذهنك بتلك العواطف الحمقاء ، ثم إننى أعرف (كمال)
أكثر منك ، وهو ليس ذلك الشخص العاطفى ، الذى
يؤلمه تجاهل فتاة لموعده ، ولا شك أنه سيدبر موعداً
مع أخرى .

أغضبها أسلوبه مرة أخرى ، ولكنها لا ذت
بالصمت ، حتى لا ينقلب الأمر إلى شجار آخر .

لم تشأ أن تخبره ..

لم تشأ ذلك حقاً ..

ولكن لسانها خدعها ، ونطق في صوت متهدج .
أدهشها قبل أن يدهشه :

- (كمال) .

ولم يعد هناك مجال للتراجع ..



ولكن يبدو أنه قد شعر بغضبها المكبوت ، فرقّصوته ،
وهو يستطرد :

— معذرة ، ولكن ينبغي أن تعلمي أن (كمال)
شاب مستهتر ، لا يقيم وزناً للعواطف والمشاعر ،
صحيح أنه ابن خالتي ، ولكنني لست أحب أن يخذلك
بأحاسيس وهمية .

أجابته في كبرياء :

— إن علاقتي بـ (كمال) لا تعدو كونها صداقة
بريئة ، وهذه هي العاطفة الوحيدة التي تربطنا .

أجابها في حدة :

— حسناً .. فلننس الأمر كله .. اربطي حزامك ،
فسنهيّط بعد قليل .

ربطت حزامها ، وأغلقت عينيها في خوف ،
حتى سمعت (رشدي) يقول :

— لقد وصلنا .

رافقته داخل المطار ، وهو ينهي إجراءاتهما في
سرعة ، تشفّ عن اعتياده مثل هذه الأمور ، وهي

***** ١٠٦ *****

تبعه مستسلماً ، كطفلة تسير خلف أبيها ، حتى غادرا
المطار ، فراح يتطلع إلى ساعته في قلق ، جعلها تسأله :

— ألن نستقل واحدة من سيارات الأجرة ؟

أجابها ، وهو يتطلع إلى الطريق في قلق :

— كان من المفروض أن تنتظرنا سيارة خاصة

هنا ، فهم يعلمون موعد وصولنا بالضبط .

لم يكذب يتم عبارته ، حتى سمعا من خلفهما صوتاً

يقول في فرنسية مهذبة :

— مسيو (رشدي) .. مدموازيل .

التفت (رشدي) إلى السائق الفرنسي ، وهو

يقول في فرنسية سليمة :

— لماذا تأخرت ؟

انحنى السائق الفرنسي في أسلوب مهذب ، وهو

يقول :

— معذرة يا مسيو (رشدي) .. لقد استغرقت

إجراءات الحجز في الفندق بعض الوقت .

ثم فتح باب سيارته الأنيقة ، يدعوهما للركوب ..

***** ١٠٧ *****

وطوال الطريق . راحت (صفاء) تتطلع إلى كل
شيء في انبهار ..

الشوارع الفسيحة .. الحدائق الرائعة ..

برج (إيفل) .. قوس النصر ..

كل ما بهرّها في الصور والأفلام السينمائية بدا
أمامها حقيقة لا تستحق الجدل ..

أما (رشدي) ، فقد عاد إلى مراجعة أوراقه
ومستنداته ، وكأنما (باريس) كلها لا تعني له شيئاً .

حتى توقفت بهما السيارة أمام فندق فاخر . وتبين
لـ (صفاء) أن كل شيء قد تم إعداده في دقة بالغة .

فلقد تم حجز حجرتين متجاورتين في الطابق الرابع .
باسميهما . ونقل إليهما خدم الفندق حقيبتيهما . وقال

(رشدي) للسائق :

— موعدي مع مسيو (ريمون) في تمام الساعة .
فاحرص على أن تكون هنا في السادسة تماماً .

أجابه السائق في احترام :

— ستجدني في الموعد يا مسيو .

وفي حجرتها الفاخرة . شعرت (صفاء) أنها تحيا
حلماً جميلاً . فراحت تتطلع من نافذة حجرتها ، التي
تطلّ على ميدان (فرساي) ، أشهر ميادين (فرنسا) ،
وأخذت تقفز وترقص داخل الحجرة ، وكأنما عادت
إلى طفولتها ..

وفجأة عاد إلى مخيلتها مشهد (رشدي) ، وهو
يتطلع إليها في صرامة . حينما كانت تفعل المثل في
شرفة الفيلا ، فتجمدت في مكانها ، وخامرها شعور
قوي بالوجل والارتباك ..

لقد كان لـ (رشدي) تأثير عجيب عليها . يجعلها
تحاسب نفسها في شدة على أي تصرف ، حتى وهو
بعيد عنها ، ويحدّ من انطلاقها وسلاستها ، ويقيّد
بسلاسل من الخوف والرغبة ..

وعلى الرغم من ذلك ، كانت تشعر بحاجة شديدة
إليه . وإلى وجوده إلى جوارها ..

شعور عجيب ، يلزمها منذ لقائهما الأول ، على
الرغم من كراهيتها له أحياناً ..

ولكن أى شعور هذا ؟ ..

أى شعور ؟ ..

* * *

خابت أحلام (صفاء) تماماً بالنسبة إلى (باريس)
فلقد خضعت طوال اليومين التاليين لوصولها إليها إلى
برنامج عمل مزدحم ، لم يمنحها الفرصة لزيارة أى من
معالمها ، وهى تنتقل مع (رشدى) من مكتب
إلى مكتب ، ومن عشاء عمل إلى آخر ، وكل لحظاتها
مشحونة بالعمل ، تماماً مثل (القاهرة) ..

و ذات يوم ، وبينما ضمتهما مائدة عشاء عمل ، مع
أحد رجال الأعمال الفرنسيين ، راح (رشدى) يناقش
الرجل فى مميزات منتجاته ، وبدأ الرجل فى تحديد
شروطه وطلباته ، الخاصة بنوع البضائع ، وشروط
التغليف ، ومواعيد التسليم ، وأخرجت (صفاء)
مفكرتها الصغيرة ، وراحت تسجل الملاحظات فى اهتمام
ثم لم يلبث الملل أن تسلل إليها ، فشردت ببصرها ،
وسرحت فى تأمل اللوحات والتحف الفنية ، التى

* * * * * ١١٠ * * * * *

يذخر بها المكان ، وفجأة أيقظها صوت (رشدى) ،
وهو يهتف فى غضب :

— إتنى لم أصطحبك إلى هنا لتأمل اللوحات والتحف .

انتفضت فى قوة ، وغمغمت فى تلثم وارتباك :

— معذرة .. لقد ..

قاطعتها فى حدة زائدة :

— العمل لا يعرف كلمة معذرة .. إنك لاتصلحين

لمرافقة رجل أعمال ، كان ينبغى أن أصطحب معى
سكرتيرة حقيقية ، بدلا من فتاة حاملة ، لا تدرك
المطلوب منها بالضبط .. هيا .. اكتبى ماسألميه عليك .

تفجّر فى أعماقها شعور قوى بالخرق والمهانة ،
وهى تنقل بصرها إلى نظرة الإشفاق ، التى ملأت عيني
رجل الأعمال الفرنسى الذى أدرك حرج موقفها ، على
الرغم من أنه لا يفهم كلمة واحدة من العربية ، وعجزت
أصابعها عن الاستمرار فى الكتابة ، فألقت القلم والمفكرة
فوق المائدة ، وهرولت مغادرة المكان وهى تبكى ..
وزفر (رشدى) فى ضيق ، وهو يغمغم فى غضب :

* * * * * ١١١ * * * * *

- عبث أطفال .. فتاة مدللة .. هل تظن أنني
سأهرع خلفها في كل مرة . طالباً الصفح والبقاء ..
فلتذهب إلى الجحيم .

لم يكذب يعود إلى مقعده ، حتى هبّ واقفاً . أمام
عيني رجل الأعمال المندهشتين ، وهو يهتف :
- أين تظن تلك المجنونة أنها ستذهب وحدها ،
في (باريس) ؟

سأله رجل الأعمال الفرنسي في حيرة عما حدث ،
فأجابه في توتر بالغ :

- معذرة .. إنني مضطر لتأجيل حديثنا إلى الغد .
ثم اندفع مغادراً المكان بدوره ..

* * *

استقلت (صفاء) واحدة من سيارات الأجرة ،
عائدة إلى الفندق ، وتركت دموعها تنسال على وجنتيها
في حرارة ، وهي تهتف في أعماقها :

- سيظلّ (رشدي) كما هو .. إنسان حاد المزاج

يصعب التعامل معه ..

* * * * * ١١٢ * * * * *

لقد كانت تأمل أن يكون قد أصابه بعض التغيير ،
الذي يصبح بمثابة قناة توصلها به . بعد حديثه الهامس ،
وأسلوبه الرقيق معها . وهو يدعوها للبقاء .. لقد
أحسست يومها أنها مخطئة من خوفها منه . وفي رأيها من
أنه رجل بلا قلب أو مشاعر ، إلا أنه لم يلبث أن أعاد
حواجز القسوة والخشونة والتجريح بينهما ..

إنها لم تعد تحتمل ..

ستفارقه إلى الأبد هذه المرة ..

لن تراجع عن قرارها أبداً ..

لن تسمح لإرادتها بخذلانها مرة أخرى ، على
الرغم من أنها واثقة هذه المرة من أن قلبها قد اختاره
وحده ، على الرغم من كل عيوبه ومساوئه ..

وستفرّ بقلبي بعيداً عن ذلك الاختيار ، الذي لن
يجلب لها سوى الآلام والجراح ..

ستهرب من الاختيار المر ..

* * *

* * * * * ١١٢ * * * * *

تعالى رنين جرس هاتف حجرة (صفاء) ، وهى
تعد حقيبتها ، تمهيداً للعودة إلى (مصر) ، فالتقطت
سماعته ، وسمعت صوت موظف الاستقبال يقول :

- مدموازيل (صفاء) .. هناك محادثة هاتفية لك .
أجابته فى حزن :

- لست أرغب فى التحدث إلى أحد .
ولكنها سمعت فجأة صوتاً مألوفاً ، يهتف فى مرح :
- كلاً .. لن أسمح لك بالفرار مرة أخرى .

هتفت فى مزيج من الدهشة والفرح :
- (كمال) ؟! .. غير معقول ! .. ما الذى أتى
بك إلى هنا ؟

أجابها بأسلوبه المرح :
- قلبي .. صدقيني .. لقد حاولت أن أثنيه عن
ذلك ، بحجة أنك فتاة قاسية ، لا قلب لها ، ولكنه
نهرنى فى شدة ، قائلاً : وما شأنك أنت ؟ أنا الذى

***** ١١٤ *****

أريدها ، ثم أجبرنى على أن أستقل معه أول طائرة إلى
(باريس) ، وطاف بى كل فنادقها ، حتى عثر عليك
هنا .

ضحكت قائلة :

- يا لها من مفاجأة سعيدة !

أجابها فى مرح :

- معذرة .. إن قلبي لن يتحدث إليك طويلاً ،
عبر أسلاك الهاتف ، إنه يصرّ على مقابلتك فى
(كافيتيريا) الفندق .. وبالمناسبة .. سأحضر هذا
اللقاء .

هتفت فى سعادة :

- إننى قادمة على الفور .

صافحته (صفاء) فى حرارة ، ورأت فى عينيه
نظرة اشتياق حقيقية ، وهو يهمس فى لهفة :
- لقد أوحشتنى حقاً يا (صفاء) .
ابتسمت ، قائلة :

***** ١١٥ *****

— إنها ثلاثة أيام فحسب . ومن الجنون حقاً أن
تأتى خلقي إلى (باريس) .

كمال :

— حقاً !!! لقد بدت لى كثرات سنوات .

شعرت بالتأثر من كلماته . التى انتزعت منها الكثير
من أحزانها وتوترها ، فقالت :

— لقد كنت أحتاج إلى رؤيتك ، وسماع كلماتك
الرقية هذه بالفعل .

ارتسم على وجهه تعبير حاد ، وهو يمسك كفها ،
قائلاً :

— اسمعى يا (صفاء) .. سأكون صريحاً معك ..
لقد جعلتنى تلك الأيام الثلاثة ، التى افترقنا فيها ، أدرك
طبيعة شعورى نحوك بالضبط ، وبدلت الكثير من طبائعى
فلم تعد هناك فتاة تلح على ذهنى . وتشغل تفكيرى
سواك ، وليس لهذا سوى معنى واحد ..

وتهدج صوته ، وهو يردف :

— إننى أحبك يا (صفاء) .

***** ١١٦ *****

حاولت أن تمنعه من الاسترسال فى حديثه ،
مغممة فى ارتباك :

— (كمال) .. إنك .

قاطعها فى حرارة :

— دعينى أتم حديثى يا (صفاء) .. أرجوك ..
إننى أعترف بأننى قد عشت حياة لاهية ، مستهترة ،
تساوت خلالها كل الفتيات ، اللاتى عرفتهن ، فى
نظرى . ولكن ظهورك فى حياتى كان يختلف ، ففبك
وجدت كل البراءة والنقاء والطهارة . التى لم تزيفها
شروور العصر بعد .. أقول لك إننى أحبك ، وأقسم لك
أننى لم أفه بهذه الكلمة أبداً من قبل . ولو على سبيل
الخداع ، فلقد احترمت دوماً قدسيتها ، وادخرتها
للفتاة التى يختارها قلبى وعقلى معاً ، ولقد سعت خلفك
لأطالبك بأمر واحد .. هل تقبلين الزواج منى
يا (صفاء) ! ؟

اختلج قلبها فى عنف ، وارتجفت الكلمات على
شفثها ، وهى تغمغم :

***** ١١٧ *****

— لست أدري ماذا أقول .. لقد فاجأتني حقاً .

هتف في حرارة :

— أرجوك يا (صفاء) .. لا داعي لكل العبارات

التقليدية الحمقاء .. لا تطليبي مني منحك بعض الوقت

للتفكير ، فلست أتميز بالصبر ، ولا أطيق الانتظار ..

أريد ردّاً قاطعاً ، وليكن بالإيجاب .. أرجوك .

غمغمت في ارتباك :

— فلنؤجل الرد حتى نعود إلى (القاهرة) على

الأقل .

هتف في لهفة :

— بل الآن ، وإذا وافقت فسنعقد قراننا هنا ..

في (باريس) .

هتفت في دهشة :

— هنا ؟ !

أجابها في حماس :

— نعم .. يمكننا أن نعقد قراننا في السفارة المصرية

فلقد جاءني خطاب عاجل من الشركة الرئيسية في

***** ١١٨ *****

(بلجيكا) ، ويتحتم عليّ أن أعود إلى هناك بعد غد ،

وقد لا أعود إلى (مصر) قبل عام كامل على الأقل ؛

لذا فمن الضروري أن ينتهي كل شيء في سرعة .

عصفت بها الأفكار ، وهي تتطلع إليه في حيرة ..

إنه لمن الرائع حقاً أن يختارها للزواج شابٌ رائع

مثل (كمال) ، يتمتع بالجاذبية والوسامة ، وكل ما تتمناه

أية فتاة ، إلى جوار أنها تكن له بعض الحب والإعجاب

فهو ودود ، رقيق ، يحبها في إخلاص .. وما الذي

ترجوه أية فتاة بخلاف ذلك ؟ ..

ولكن موجة من الحزن سرت في أعماقها ، وهي

تهمس في داخلها :

— ولكنني أحب (رشدي) .. قدرى أن أحبيته .

كم أنت غريب يا قلبي ! .. كيف تلفظ (كمال) بكل

صفاته المحببة ، ومميزاته المتعددة ، وتحتضن (رشدي)

بكل غلظته وخشونته ، ومشاعره الجامدة القاسية ؟ ..

ولكن متى كان الحب يخضع لعقل أو منطق ؟ ..

كلاً .. لقد قررت ألا أخضع لنداء قلبي ، وأن

***** ١١٩ *****

أستجيب لنداء عقلى فحسب ، وعقلي اختار (كمال) ،
وسعادتي ستكون معه ، وليست مع (رشدى) .
قطع عليها (كمال) استغراقها ، وهو يقول :
- أما زلتِ تفكرين في الأمر ؟ .. لست أطمع في
أن يحمل لي قلبك كل ما يحمله لك قلبي من حب ،
فسيكفيني القليل منه ، وسأعمل جاهداً على نيل الباقي .
نغممت في تردد :

- (كمال) .. إنك تعلم أنني فتاة فقيرة ، كان
والدي يعمل طباًخاً في منزل خالتك ، والفارق الاجتماعي
بيننا كبير و ..
وضع يده على شفتيها ؛ ليمنعها من الاستطراد ،
وهو يقول :

- إنك لم تأتي بجديد .. إنني أعلم كل هذا ، وأعلم
أنه لا قيمة له ، ما لم يكن مبرراً لرفضك .. الأمر
لا يحتاج إلى مزيد من التفكير يا (صفاء) .. أتقبلين
الزواج مني أم لا ؟

ارتسمت على شفتيها ابتسامة شاحبة ، وهي تقول :

***** ١٢٠ *****

- حسناً .. إنك لا تدع لي مجالاً للرفض .

تهللت أساريره ، وهو يهتف في سعادة :

- إذن فأنت تقبلين ؟

أومأت برأسها إيجاباً ، فهبَّ من مقعده ، وهو

يهتف في فرح ، استرعى انتباه الجالسين :

- إنه أسعد خبر سمعته في حياتي .. إنني لا أطيق

الانتظار .

اتسعت ابتسامتها ، وهي تقول :

- هل ستعاودك نوبة الجنون ؟ .. الجميع

يتطلعون إلينا .

عاد يجلس ، وهو يقول في لهفة وانفعال :

- سأغييب نصف ساعة فحسب .. هناك بعض

الإجراءات ، التي يتعين اتخاذها ، حتى يمكننا عقد

قراننا غداً .

ضحكت ، وهي تقول :

- بهذه السرعة .

هتف في مرح :

***** ١٢١ *****

— هذا أفضل .. قبل أن تتراجعى فى قرارك ..
سأتغيب نصف ساعة فقط .. لا تغادرى مكانك حتى
أعود .

غادر المكان فى سرعة ، وكل خلجة من خلجاته
تشى بحبه وسعادته ، وتابعته هى فى وجوم ، وهى
تساءل عن سر افتقادها للسعادة ، شأن أبة فتاة مقبلة
على الزواج ، وراحت تتطلع إلى الطريق فى شروء ،
وقد خيم عليها شعور بالاكئاب ، حجب عنها جمال
(بارس) ، وجعلها تبدو فى عينيها مظلمة شاحبة ،
خاوية من البهجة والجمال ..

وفجأة وجدت (رشدى) أمامها ، يتطلع إليها فى
صمت ، عاجزاً عن النطق بما تحمله عيناه . من نظرات
الاعتذار والندم ..

وأخيراً قال فى صوت خافت :

— لقد سألت عنك ، وأخبرونى أنك هنا .. هل

تسمحين لى بالجلوس ؟

أشاحت بوجهها دون أن تجيب ، وقلها يخفق فى

***** ١٢٢ *****

عنف ، فجلس على مقعد مجاور لها ، وظل صامتاً
متردداً بعض الوقت . وهوىبتطلع إلى الطريق ، وكأنما
يخشى أن تلتقى عيناه بعينيها ..

وكان هذا عجباً . بالنسبة لرجل اعتاد أن يرهب
الآخرين . وأن يراهم يرتعدون أمامه ، إذ بدا فى تلك
أشبه بطفل صغير . يخشى العقاب ، ولقد مضت فترة
طويلة من الصمت ، قبل أن يغمغم :

— من الواضح أننى لن أجد عبارات مناسبة
للاعتذار ، وأنتك لن تقبلى اعتذارى هذه المرة . ولست
أؤمك على ذلك . فأنا رجل سيء الطباع . سريع
الانفعال ، لا أثير فىمن حولى سوى النفور والكرهية .
أعلم ذلك جيداً ، ولكن صدقنى ، منذ ستة عشر عاماً
فقط لم أكن كذلك .. كنت شخصاً مختلفاً تماماً ..
كنت شاباً حالمًا ، هادئ الطباع ، ورث عن أبيه الطيبة
وحسن الخلق ، والثقة المفرطة فى الناس ، وحبهم ،
يمتلى بمشاعر رقيقة بريئة ، ولقد كنت أنا وأبى
نختلف مع أمى كثيراً ، فنترك مشاعرنا الطيبة تقودنا ،

***** ١٢٣ *****

دون أن نمدح الأمور بعقولنا ، ولقد جعلت هذه
الطبيعة المفرطة للجميع يطمعون في ثروة أبي ، الذي
كانت له أفضال كثيرة على أقاربه .. الجميع أفادوا
منه . وأصبح لهم شأن بواسطة معاوناته لهم . ومنهم
من كان فقيراً معدماً .. الكل استغل طبيته . ونبل
مشاعره : لتحقيق مآربهم ومطامعهم الخاصة . وحينما
سقط مريضاً . التفوا حوله كالذئاب الجائعة ، كل
يريد أن يلبسهم الجزء الأكبر من لحمه . ويتصارع ليرثه
حيّاً . حتى إخوته .. أعمامى وعماتى . كانوا يسرقونه ..
لقد نهبوا الكثير من حقوقنا . دون أن تأخذهم بنا شفقة
أو رحمة ..

وأبوك كان أكثر إخلاصاً ووفاءً لنا . ممن تربطنا
بهم صلة الدم . وفي تلك الأيام تفتحت أمانى من حقائق
الحياة ما لم أكن أعرفه من قبل .. رأيت الطمع
والجحود والاستغلال .. لم يأبه أحدهم بالرجل المريض
الذى لولاه ما صار لهم شأن . وأصبح كل همهم النهب
والسلب . بعد أن أسلمهم أبى لإدارة ثروته . فى طيبة

تصل إلى حد السذاجة ، ولولا تصدى أمى لهم . فى أيام
أبى الأخيرة . لصرنا فقراء معدمين . وما حصلنا حتى
على بقايا ثروة أبى . بعد أن التهمت معظمها الذئاب
المتوحشة ..

وهذه البقايا قاتلت أنا لتنميتها ، بجهدى وعرقى
ودموعى . حتى أوصلتها إلى ما ترينه الآن ..

حتى ابنة عمى . الوحيدة التى تفتح لها قلبى .
والتي ظننت أنها تبادلنى الحب المخلص الحقيقى . كشفت
بعد خمسة أيام فقط من خطبتي لها . أن ارتباطها بى كان
كان جزءاً من المؤامرة . التى دبرها عمى : للاستيلاء
على القدر الباقى من ثروة أبى ..

حتى الحب . بكل معانيه السامية . حولوه فى
أعماقى إلى مرادف للغش والخداع ..

وبعد رحيل والدى عن الدنيا . كنت قد تلقيت
الدرس . ووعيته جيداً ، وقررت ألا أصبح مثله أبداً .
بل تعلمت كيف أجعل الجميع يخشونى ويكرهونى
فى آن واحد .. تعلمت القسوة . ودرّبت نفسى على

خشونة الطباع ، والاستخفاف بالمشاعر ، وتحوّلت إلى
رجل قاس ، غليظ القلب ، عديم العاطفة : حتى
لا أكرر مأساة أبي . أو هزيمتي في حبي ..

لفظت كلمة الحب من حياتي ، واعتبرته ضعفاً ،
لا أسمع بالاستسلام له أبداً ..

ويبدو أنه من كثرة ممارستي لذلك الدور ،
ومعاشتي له ، صرت بالفعل قاسياً . غليظ القلب ،
عديم العاطفة ، حتى ظهرت أنت في حياتي ..

إحساس عجيب خامرني منذ اللحظة الأولى ، التي
رأيتك فيها ..

إحساس قاومته دوماً في عنف . ولكنه ظل يتغلغل
في أعماقي . على الرغم مني ..

إحساس يذكرني بذلك الشاب اليافع ، ذي
العواطف الجياشة . والقلب العامر بالحب والمثاليات ..
ذلك الشاب الذي فقدته بوفاة أبي ..

التقت عيناه بعينيها في تلك اللحظة ، وللمرة الثانية ،

رأت في عينيه تلك النظرة الحزينة ، المفعمّة بالرجاء .
وهو يقول :

— (صفاء) .. لقد سئمت ذلك الدور الكريه .

الذي ظلت أؤديه على مسرح الحياة ، طيلة ستة عشر
عاماً .. أريد أن أستعيد (رشدي) الذي فقدته ، بطبيعته
ونقاء سريرته ، وقلبه المفتوح للحب ، والعواطف
الجياشة .. أعلم أن ذلك لن يكون سهلاً ، ولن يحدث
في يوم وليلة ، فليس من السهل أن يغير الإنسان طباعاً
عاشها كل هذا الوقت ، ولكنني أشعر أنني سأنجح
لو كنت إلى جوارى ، فلقد كرهت شخصية الرجل
العنيف منذ التقيت بك ، ولم أرغب في استرداد طبيعتي
الأولى إلا بعد أن أحبيتك .

حدّقت في وجهه بذهول ، فاستطرد في لهجة
حانية ، بدت لآذانها عجيبة :

— نعم يا (صفاء) .. إنني أحبك .. لم يتضح لي
هذا الشعور في البداية ، إلى أن اعترف قلبي بأن
مشاعري نحوك هي حب حقيقي ، وأن ذلك الإحساس ،

كان من المفروض أن يرقص قلب (صفاء) طرباً
وهي تستمع إلى الرجل الذي أحبته ، يدها حبه وهيامه ،
ولكن سعادتها جاءت مبتورة . يشوبها مزيج من الحزن
والأسى . حينما جاء ذلك الاعتراف متأخراً ..

يا لأعاجيب القدر !!

لماذا لم يعترف لها بحبه إلا الآن ؟

لماذا اختار هذا الوقت بالذات . بعد أن وافقت

على الزواج من (كمال) ؟

لماذا ؟

أيمكنها الآن أن تراجع عن موافقتها على الزواج
من (كمال) . الذي أحبها بكل صدق وإخلاص ،
وكاد يطير فرحاً . حينما أعلنته له ؟ ..

كلاً .. لا يمكنها أن تراجع الآن ..

لن تقوى على تحطيم قلب (كمال) بهذه البساطة ..
ثم هل يمكن أن يتغير (رشدي) حقاً ؟ ..

الذي كنت أقاومه منذ التقينا . لم يكن سوى الحب .
لقد اعترف قلبي . الذي وأدته منذ ستة عشر عاماً
بذلك . حينما خفق مرة أخرى بحبك . وأعاد (رشدي)
الأول إلى أعماقي . وبعثه من جديد مفعماً بالقوة ،
مستعداً للنضال والقتال . ضد (رشدي) الحالي ، بكل
قوته ومساوئه وشروره .. من أجلك .

لم تنطق (صفاء) . وهي تحدق في وجهه . ولكن
عينها نطقاً ..

نطقاً بالدموع ..



ألن تغلبه طبيعته مرة أخرى ، فيعود إلى إهانتها
وتجريحها ؟

كم تشفق على نفسها ، وعلى قلبها من أن يأتي ذلك
اليوم ، فيطحن حبهما ، ويقتله ، بعد أن ظهر إلى
الوجود !..

ربما كان من الأفضل لكليهما أن يتباعدا ، ويحتفظ
كل منهما بذكرى هذا الحب ، الذي نما وسط
الأشواك ، قبل أن تدميه ، فالحجر أهون من أن
نتعذب على أيدي من نحبهم ..

كلا .. إن اعتراف (رشدي) لن يغير قرارها ..
إنها ستختار الأصعب ، والأكبر رحمة لقلبها ..
وفاجأها (رشدي) ، وهو يقول في حنان ، لم
تعهد فيه من قبل :

— أتبيكين يا (صفاء) ؟ .. ألا تعرفين كم تؤلمني
دموعك ! وكم آلمتني حينما رأيتهما في عينيك لأول مرة !..
أتعلمين لماذا ثرت ، حينما علمت أنك كنت برفقة
(كمال) ؟ .. إنها الغيرة يا (صفاء) .. نفس الغيرة

التي أصابتني في الطائفة ، حينما تحدثت عن حزنك
لتخلفك عن مواعده ، والتي تضاعفت في أعماقي ،
وانفجرت منذ قليل ، حينما كنا مع رجل الأعمال
الفرنسي ، لقد تصوّرت أن شروذك يعود إلى تفكيرك
فيه ، ولم تقو مشاعري على احتمال هذا الإحساس ،
ولكنك تعلمين أن الغيرة هي الوجه الآخر للحب ،
وحينما انصرفت غاضبة ، تركت كل شيء ، وهرعت
خلفك ، فقد كان بإمكانك تحمل أية خسائر ، ما عدا
أن أخسرك أنت ، لا يمكنني مجرد تصوّر فكرة
ضياعك مني .

بكيت في حرارة ، وهي تقول في توسل :

— أرجوك .. كفى .. كفى .

تناول كفّها في راحته برقة ، قائلاً :

— هل آلمتك ؟ .. اغفري لي يا حبيبتي .. لن

يحدث هذا مرة أخرى ، سأبذل كل ما بوسعي
لأنسيك هذا ، وسأفعل المستحيل لإثبات حبي لك .

وفجأة هتف صوت مرح من خلفه :

— (رشدی) .. لقد عثرت عليك أخيراً .

تطلع إليه (رشدی) . وهو يهتف في دهشة :

— (كمال) ؟ !

أجابه (كمال) في مرح :

— نعم .. (كمال) ابن خالتك أيها الجاحد . الذي

لا تذكره ولو بخطاب صغير . أكان من الضروري أن

أهرع خلفك إلى (باريس) . حتى نلتقي ؟

سأله (رشدی) في دهشة :

— كيف علمت أننا هنا ؟

التفت (كمال) إلى (صفاء) . وهو يقول مداعباً :

— أرايت ؟ .. ألم أقل لك إنه لا يعرف شيئاً عن

المجاملات .. كل ما عنّ له قوله : كيف علمت أننا

هنا ؟ .. على كلّ لن نعاثبه اليوم . حتى لا نفسد

بهجتنا .. هل أخبرتك (صفاء) بالخبر السعيد ؟

غمغم (رشدی) في توتر :

— أي خبر ؟

هتف (كمال) في دهشة :

— كيف لم تخبر به حتى الآن يا (صفاء) ؟

ثم التفت إليه . مستطرداً في سعادة جمّة :

— أنا و (صفاء) سنعقد قراننا غداً .. هنا في

(باريس) . وسيكون عليك أن تبحث لنفسك عن

سكرتيرة أخرى .

زلزلت الصدمة كيان (رشدی) . فراح ينقل

بصره بينهما في ذهول ومرارة وألم . وخبا بريق عينيه

في انكسار عاشق مهزوم . ولم تستطع (صفاء) التطلع

إلى عينيه الحزينتين . وشعرت أنها تكره نفسها : لأنها

تسببت في تحطيم قلبه على هذا النحو . على حين هتف

(كمال) في دهشة :

— ماذا أصابك يا رجل ؟ .. ألا يستحق

ما أخبرتك به كلمة تهنئة على الأقل ؟

خرجت الحروف من بين شفتي (رشدی) .

مختنقة . متحشجة . وهو يغمغم في مرارة :

— مبروك .

هتف (كمال) في مرح :

— لقد نطق .. وقال لنا مبروك .. يا إلهي !! ..
لقد تحققت المعجزة .

أشاح (رشدى) بوجهه . وهو يقول فى ألم :
— اسمحوا لى بالانصراف .

تضاعفت دهشة (كمال) . وهو يهتف :
— إلى أين ؟ .. ألن تدعونا حتى إلى مشروب ،
بهذه المناسبة السعيدة ؟

نغمم (رشدى) فى ألم ومرارة :
— معذرة .. لقد بذلت جهداً كبيراً اليوم ،
وأحتاج إلى بعض الراحة .
وانصرف فى خطوات سريعة . فغمم (كمال)
فى حيرة :

— ماذا أصابه ؟ .. إنه يبدو غير طبيعى على
الإطلاق !

أجابته (صفاء) فى صوت مختنق :

— ربما كان متعباً حقاً . كما يقول .. دعنا نخرج

***** ١٣٤ *****

من هنا ، فأنا فى أمس الحاجة إلى بعض الهواء النقي ..
هياً ..

أوقف (رشدى) سيارته أمام القنصلية المصرية فى
(باريس) ، وهبط منها مع (كمال) و (صفاء) ،
وبدا أكثر تماسكاً ، وهو يقول :
— أكرر تهنئتي ، وأتمنى لكما حياة سعيدة .
سأله (كمال) فى اهتمام :

— أنت واثق من عدم استطاعتك حضور عقد
القران . لقد كنت أتعشم أن تكون أحد شهود العقد .
رسم (رشدى) ابتسامة باهتة على شفثيه ، وهو
يغمم :

— كنت أود ذلك أيضاً . ولكن لا بد لى من
السفر إلى (القاهرة) . ولم يعد أمامى سوى نصف
ساعة للحاق بالطائرة .

هتف (كمال) فى استنكار :

— ألا يمكنك أن تؤجل سفرك ؟

***** ١٣٥ *****

نعم (رشدی) :

— کلاً .. للأسف .

ثم التفت إلى (صفاء) . وهو يستطرد :

— اعتن بـ (صفاء) جيداً . وتذكّر دوماً أنها

ليست مجرد سكرتيرة . بل إن مكانتها في قلوبنا تفوق ذلك كثيراً .

ضحك (كمال) . وهو يقول :

— إنك لن توصيني بـ (صفاء) .

أخرج (رشدی) من جيبه علبة مخملية صغيرة .

فتحها وهو يقدمها إلى (صفاء) ، قائلاً :

— إنه سوار ماسي ، هدية زواج .. أرجو لك

حياة سعيدة .

وخفت صوته . وهو يستطرد :

— أقولها من أعماق قلبي .

كان وجه (صفاء) شاحباً كالموتى . وهي تتطلع

إلى عيني (رشدی) ، اللتين تحملان نفس نظرات

***** ١٣٦ *****

الطفل البائس . وخيّل إليها أن شفّيته المرتجفتين
تصرخان بها :

— لا تتركني للضياع .

كم تمنّيت لحظتها أن تخمد صوت عقلها . وتترك
العنان لقلبها وعواطفها ! ..

كم تمنّيت أن تتخلى عن ماضيها . وحاضرها .
ومستقبلها .. بل عن العالم بأسره ؛ لتلقى نفسها بين
ذراعيه . وتعترف له بحبها ، وبأنها تتمنى أن تحيا عمرها
كله إلى جواره ..

وقطع (كمال) خواطرها الحزينة ، وهو يقول :

— هيّا .. لقد حضر الشاهدان ، وكل شيء معدّ .

صافحها (رشدی) بأصابع مرتجفة . وهو يقول
في صوت بدا وكأنه يأتي من أعماق بحيرة :

— وداعاً .. أرجو لكما كل التوفيق في حياتكما .

كمال :

— سأحاول الحصول على إجازة لمدة أسبوع .

نحضر خلالها أنا و (صفاء) إلى (القاهرة) ؛ لزيارة

***** ١٣٧ *****

خالتى ، وأرجو أن توضح لها الظروف ، التى حتمت
إنهاء الزواج بهذه السرعة .

تابعهما (رشدى) ببصره فى حزن وهما يتجهان
نحو مبنى القنصلية ، ثم دلف إلى السيارة ، وأمر سائقها
بالتوجه إلى المطار على الفور ..

وتعثرت خطوات (صفاء) ، وهى ترتقى سلم
القنصلية ، فأسرع (كمال) يمسك بها ، وهاله ذلك
الحزن المرتسم على وجهها ، فهتف فى حيرة وقلق :

— ماذا بك يا (صفاء) ؟

غمغمت ، وهى تمسح دمعة تسالت إلى وجنتها :

— لا شيء .

استوقفها ، وهو يقول :

— بل هناك أشياء يا (صفاء) ، فذلك الحزن

لا يتفق مع فتاة مقبلة على الزواج .. أخبرنى بربك ،
ماذا هناك ؟

ارتجف صوتها ، واختنقت حروف كلماتها ،
وبكت فى حرارة ، وهى تتمم :

***** ١٣٨ *****

— (كمال) .. أخشى أنه لن يمكننى إسعادك .

هتف فى جزع :

— لماذا ؟

انهمرت دموعها فى غزارة ، وهى تقول :

— لأننى أحب رجلاً آخر .

تجمّدت ملامحه لحظة ، وهو يطيل النظر إليها ، ثم

لم يلبث أن هتف فى غضب ومرارة :

— ولماذا لم تخبرينى بهذا من قبل ؟ .. لماذا وافقت

على الزواج منى . ما دام قلبك يحمل الحب لرجل

آخر ؟ .. لماذا رفعتنى إلى قمة السعادة . ثم ألقيتنى

بكل هذه القسوة أرضاً ؟ .. لماذا ؟

انهمرت دموعها ، وهى تقول :

— لست أدرى .. لست أدرى .. لقد كنت

مضطربة المشاعر ، حينما وافقت على الزواج منك ..

تصوّرت أننى أستطيع إخماد نداء قلبى . والاستسلام

لعقل ، الذى يرفض هذا الآخر ، وخلت أننى سأنسى

معك هذا الحب الذى خشيت أن يجذبني إلى الهاوية ،

***** ١٣٩ *****

ولكنني شعرت الآن ، وأنا أقدم على إتمام زواجنا .
أنه ليس من حق أن أخدعك ، وأخدع نفسي .
وأخدع من أحب ..

اختنقت الكلمات في حلقها ، وهي تبكي في حرارة
وتسمر هو في مكانه جامداً . ووجهه يحمل انفعالات
شتى . قبل أن يغمغم :

— إنه (رشدي) .. أليس كذلك ؟

أومأت برأسها إيجاباً . دون أن تفوه بحرف واحد
فابتسم في مرارة ، قائلاً :

— يا لي من غبي ! .. كيف لم أفهم ذلك ؟ ..
ذلك التعبير الحزين في عينيه ، والمرارة في ملامحه
وصوته .. كيف لم أفهم ذلك ؟

غمغمت في ألم :

— لقد اعترف لي بحبه قبل قدومك بلحظات .
ولم يكن يعلم أنني قد وافقت على الزواج منك .
جذبها (كمال) من يدها فجأة ، وهو يقول في
حزم :

— هيّا بنا .

هتفت به في دهشة وقلق :

— إلى أين ؟

أجابها في حزم :

— سنصحح ذلك الخطأ . الذي ارتكبناه جميعاً ،

وأرجو أن يكون أمامنا متسع من الوقت لذلك .

شردت عينا (رشدي) . وهو يجلس داخل
الطائرة . وخامره شعور ثقيل بالوحدة والاكتئاب ،
بعد أن صارت (صفاء) ملكاً لرجل آخر . ولم يعد
باستطاعته رؤيتها بعد الآن . في مكتبه أو منزله . وراح
يغمغم في مرارة :

— ماذا أصابك يا (رشدي) ؟ .. أنت حزين
لأنها ستزوّج غيرك ؟ .. لقد كانت أمامك طيلة الوقت
وكنت تعلم أنك تحبها . ولكنك لم تفعل شيئاً . باستثناء
استعراض جبروتك وقوتك . وحبها على النفور منك
وكراهيتك .. ثم تشعر الآن بالندم .. هكذا الحمقى

دوماً .. لا يعرفون قيمة ما يملكونه ، إلا حينما يفقدونه .
إنك تستحق كل الشقاء والوحدة .. تستحق المرارة
والتعاسة ، بين كل ما جاهدت لتصنعه .. تتمتع
بمؤسستك ، وقيلتك الفاخرة ، ولكن حذار ، فكل
هذه الأشياء ستبدو لك اليوم بغیضة خائفة ، لأنها لن
تشاركك إياها .. إنك لا تستحق (صفاء) ..
لا تستحقها أبداً .

قاوم دمعين ترقرت بهما عيناه ، وجاهدتا
للانحدار على وجنتيه ، وارتجف جسده حينما سمع
صوتاً يهمس إلى جواره :

— أيمكنني الجلوس هنا ؟

انتشله الصوت من حزنه وآلامه ، وبعث في قلبه
الحياة مرة أخرى ، وهو يهتف :

— (صفاء) ؟ !

ابتسمت في حنان ، وهي تجلس إلى جواره .

قائلة :

***** ١٤٢ *****

— نعم .. (صفاء) .. لقد ليبت نداء قلبي ، الذي
لم ولن يحب سواك .

هتف ، وهو يظن أنه يحلم :

— ولكن (كمال) ؟ ..

اتسعت ابتسامتها الحانية ، وهي تهمس :

— لقد أدرك الحقيقة كلها ، وهو يعلم أنه ما من

زواج ناجح يقام على مشاعر متنافرة ، خاصة بعد أن
علم أن قلبي ملك لك .

أشرق وجهه بسعادة جمة ، وهو يقول :

— (صفاء) .. قولي لي إنني لست أحلم ، وأن

كل هذا حقيقي .

طوّقت ذراعه بذراعيها ، وهي تقول :

— إنه حقيقي يا حبيبي .. هأنذا أمسك ذراعك ،

والمضيضة تعلن عن قيام الطائفة ، وسأعود معك ،
وأبقى معك إلى الأبد .

رفع وجهها إليه ، وهو يقول :

— أعدك أن أعمل على إسعادك يا (صفاء) ، وأن

***** ١٤٣ *****

أبذل قصارى جهدي : لأصبح إنساناً آخر يستحق
حبك وحنانك .

ألقت رأسها على كتفه . واحتضنت ذراعه في
حنان . وهي تقول :

أنا واثقة من أنك ستفي بوعدك . حتى ولو احتاج
الأمر إلى بعض الوقت . وسأنتظر . وأحتمل كل
المشاق من أجلك . فما قيمة الحب . لو لم تكن على
استعداد للصفح والتحمل . ومساعدة من نحب .
خلقت بهم الطائفة . وسبحا في سماء أخرى .
وهو يردد في سعادة :

— نعم . ما قيمة الحب ؟
وأشرق الشمس في سماء وردية ..
سماء الحب ..

* * *

(تمت بحمد الله)

رقم الإيداع : ٧٨٤٨



المؤلف



أ. شريف شوقي

السلسلة الوحيدة التي لا يجد الأب أو الأم حرجاً من وجودها بالمنزل

نداء قلبي

صراع حائس دار في
قلب وعقل (صفاء) .. صراع
بين رجل أحبه، وكرهت خشونته،
وعنفه وآخر يملك كل سمات
الجاذبية والمشاعر الفياضة ..
وكان عليها أن تختار ..
إمّا نداء العقل .. أو نداء القلب



التمن في مصر

ومائة دولار أميركيًا في سائر الدول العربية والعالم